الرهص والوهص!

قصيدة حماسية في كشف عبث بعض الناشرين بكتب التراث الإسلامي

صنعة

أ.د. أحمد بن علي القرني

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

١٤٤١هـ

جميع حقوق الطبع مبذولة لمن

تسبب في طبع القصيد ونشرها

النشرة الثانية

جمادى الآخرة ١٤٤١ هـ

الإبداع العلمي

للنشر والتوزيع

للتواصل مع المؤلِّف

على البريد الشَّبَكي

daL1388@gmail.com

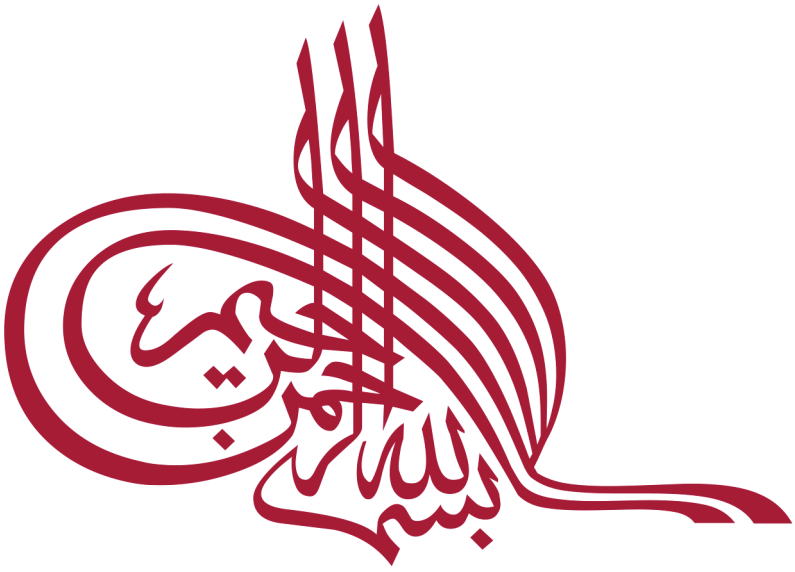
بسم الله الرحمن الرحيم

الطَّلِيعَة

الحمدُ لله كما يُحِبُّ أنْ يُحْمَد. والصلاةُ والسلامُ على نبيّه أحْمَد.

وبعدُ ؛

- ١ -

فقد كتبتُ - ذاتَ يومٍ - مقالاً في إحدى الصُّحُف السيّارة [١]، أنتقدُ فيه إحدى دورِ (النشرِ) التي تنتسب للكُتُب والعِلم !! وهي ألدُّ أعدائِه، وأشدُّ أدوائِه[٢].

ففَجَأَنا صاحبُ الدار - في الصحيفةِ نفسِها - بكتابةِ ردٍّ لو نقرتَه لطنَّ ![٣]

---

(١) كان ذلك في صحيفة (المدينة) ملحق (ألوان من التراث) بتاريخ ٩/ ٦/ ١٤١٣ هـ. الذي كان يُشرف عليه اللُّغويُّ الكبيرُ أ.د. محمد يعقوب تركستاني حفظه الله ورعاه.

(٢) كانت تلك الدارُ - ولا زالت - تقومُ بدوْرٍ مشبوهٍ في تدمير المكتبة الإسلامية؛ بإصدارها طبعاتٍ سقيمةً لكتب العلماء الأسلاف، مع عبثٍ مستطيرٍ بمادّة تلك الكتب؛ بالزيادة، والنقص، والسقط، والغلط، والتصحيف، والتحريف، حتىٰ غدتْ إصداراتُها مثلاً يُضربُ؛ في المسخ والتشويه !!

(٣) يُقال في الأمثال: «حَدِيثٌ لَوْ نَقَرْتَهُ لَطَنَّ»! كناية عن رِقَّته وضعف إحكامه! انظر مجمع الأمثال للميداني (١/ ٢٣٠).

لطيفةٌ: حكىٰ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ قال: «أَنشدتُ أبا شعيب الفَلّال أبياتَ أبي نواس:

ودارُ نَدامى عطّلوها وأدلجوا ... بها أثرٌ منهم جديدٌ ودارسُ

فقال: هذا شعرٌ لو نقرته طَنَّ. فوصفه من طريق صناعته !» سرّ الفصاحة للخفاجي (ص/ ١٦٨). أي أنه كان حدّاداً فيما يظهر!

فقلتُ: تكبيرةٌ من حارس[١] ! وتذكّرتُ حينَها قولَ أميرِ الشعراء[٢] :

أعلنتْ أمرَها الذئابُ وكانوا في ثيابِ الرُّعاةِ مِنْ قبلُ جاءوا !

وأعجبُ من هذا أنه – وبلا حياءٍ[٣] – يُخطئُ و يُفسِّرْ[٤] ، بل ويقرِّرْ !

(١) قال محمدُ بنُ عبد الله القطان: كنتُ عند محمد بن جرير الطبري، فقال له رجل: إنّ ابنَ أبي داود يقرأ علىٰ الناس فضائلَ عليِّ بنِ أبي طالب، فقال ابنُ جرير: تكبيرةٌ من حارسٍ ! تاريخ بغداد للخطيب (١١/ ١٣٦) ، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٩/ ٨٧).

قال العلّامةُ المعلّميُّ : « مقصودُه أنه كما أنّ الحارسَ قد يقول رافعًا صوته: (الله أكبر)، لا ينوي ذكرَ الله عز وجل، وإنما يقصد أن يَسمع السُّرّاقُ صوتَه فيعرفوا أنه موجودٌ يقظانُ، فلا يُقدِموا علىٰ السرقة! فكذلك قد يكون ابنُ أبي داود يروي فضائلَ علي؛ ليدفع عن نفسه ما رماه بعضُ الناس من النَّصْب – وهو بُغضُ عليٍّ رضي الله عنه –». التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل (٢/ ٥١٨).

– ومنه قول يحي بن سعيد القطان: « دعاءُ أصحاب الحديث للمحدّث كتكبيرة الحارس» !! رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٣٠١) ، والسمعاني في أدب الإملاء والاستملاء (ص/ ١١٣) رقم (١١٨) . وانظر التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير (ص/ ٣٢) لبكر أبو زيد.

– وجاء في حديث أبي بكر بن سلم الختَّلي (مخطوط) (ق/ ١٥) : حدثنا أحمد، ثنا أبو زيد، قال: كنا عند أبي عاصم النبيل، فذكر أبو حفصٍ الفلّاسُ عثمانَ فأثنىٰ عليه، فقال له أبو عاصم: « يا أبا حفص هذه تكبيرةُ الحارس»!

(٢) الشوقيات (ص/ ١٨) .

(٣) أنشد ابنُ جرير الطبري لنفسه :

حيائي حافظٌ لي ماءَ وجهي ورِفقي في مطالبتي رَفيقي
ولو أني سمحتُ بماء وجهي لكنتُ إلىٰ العُلا سهلَ الطريقِ !

سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/ ٢٧٦).

(٤) قال أحمد بن خالد القرطبي لما بلغه أن أصبغ بن خليل القرطبي صحّف أُسيدَ ابنَ حُضير إلىٰ أُسيدِ بنِ خُضير! وقال : إنما هو تصغير الخَضِر! قال: مسكينٌ أصبغُ؛ يُخطئ ويُفسِّر!! تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١/ ١٥٢).

وهذه - عَمْرَكَ اللهُ [١] -

بَلـوةٌ فـــوق بَلـوةٍ، وسَقـــامٌ فوق سُـقْمٍ، تَتْرىٰ بغيرِ حِسابِ!

- ٢ -

والـذي أُراهُ قـد تقـرّرَ عنـدَ هـذا النـاشرِ - ومَـنْ كان عـلى شـاكلتِه - أنّ : **المـالَ هـو الأصـل ! وأن لّا أصـلَ عندهـم سـوى هـذا الأصـل !!**

ينتظم مسلكَهم قولُ القائل:

مَطالِـبُ العالمَيـنَ أَشتـــاتُ وكلُّهـمْ معنـــاهُمُ: هاتـــوا!

وإنمـا العِلـمُ ومـا دونَـــه مـــن الصناعاتِ حِبـالاتُ!![٢]

---

(١) معنىٰ عَمْـرَكَ اللهُ، أي: أبقـاك الله. انظـر كتـاب الألفـاظ لابـن السـكيت (ص/ ٤٣٤)، ومجمـل اللغـة لابـن فـارس (ص/ ٦٢٩).

فائـدةٌ : قـال أبـو عبيـد القاسـم بـن سـلَّام: «أخـبرني هشـام ابـن الكلبـي، أن سـهيل بـن عبـد الرحمـن بـن عـوف، تـزوج الثريـا بنـت فـلان، مـن بنـي أميـة، مـن العبـلات، وهـي أُميّـة الصغـرىٰ، فقـال عمـر بـن أبـىٰ ربيعـة - أنشَـدَنِيهِ عنـه الأصمعـيُّ -:

أيها المُنكحُ الثريّا سُهيلاً عَمرَكَ اللهُ كيف يلتقيان ؟

هي شاميةٌ إذا ما استقلّت وسهيلٌ إذا استقلّ يمان !

قـال أبـو عبيـد: جعـل لهمـا النجـوم مثـالاً؛ لاتفـاق أسـمائهما للنجـوم. قـال: ثـم قـال: هـي شـامية، فعنـىٰ الثريـا التـي في السـماء، وسـهيلٌ يمـان، وذلـك أن الثريـا إذا ارتفعـت اعترضـت ناحيـة الشـام مـع الجـوزاء حتـىٰ تغيـب تلـك الناحيـة. قـال: وسـهيل إذا اسـتقل يمـاني؛ لأنـه يعلـو مـن ناحيـة اليمـن. فسـمَّىٰ تلـك شـاميةً، وهـذا يمانيـاً، وليـس منهمـا شـأم ولا يمـان، وإنمـا همـا نجـوم السـماء، ولكـن نسـب كلّ واحـدٍ منهمـا إلـىٰ ناحيتـه». غريـب الحديـث (٢/ ١٦٣).

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (٢/ ٤٢٧).

فقد صار المالُ الهدفَ الرئيسَ لهذا الحَنْدَقُوق[١] ومَن لفَّ لفَّه من أصحاب دور (النَّشْل) ![٢] وما أكثرَها - لا كثّرها اللهُ - في هذا الزمان ! أما العِلمُ، فلا مكانَ ولا مكانةَ له عندهم البتّةَ !!

لسانُ حال أحدهم يردِّدُ ما قاله ابنُ أبي البَغْل ![٣] :

---

(١) قال ابنُ السراج في شرح كتاب سيبويه: الحَنْدَقُوقُ: الرَّجُل الطَّوِيلُ المُضْطرِبُ شِبْهُ المَجْنُون. وقال غيرُه: شِبْهُ الأحْمَقِ. وفَسَّرَه السِّيرافيّ أيضاً بمثلِ قولِ ابْنِ السَّرّاج. انظر تاج العروس للزبيدي (٢٥/ ٢٠٧).

(٢) **لطيفةٌ:** أصبح الناسُ يتعارفون في هذا الزمان أنَّ النشْلَ هو السرقةُ علىٰ غِرّةٍ، بخفّةِ يدٍ ! وهي كلمةٌ (مُحْدَثَةٌ) كما في المعجم الوسيط (٢/ ٩٢٣).
قلتُ : لكنّ هذا المعنىٰ المُحْدَثَ له أصلٌ في اللغة، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور (١١/ ٦٦١) : «نَشَل الشَّيْءَ يَنْشُلُه نَشْلًا: أَسرع نَزْعَه». وهذه صفةُ النشَّال الذي يُسرع بنزع حافظة النقود !!

(٣) هو محمد بن أحمد بن يحيىٰ بن أبي البغل أبو الحسين الكاتب. من كُتّاب الدواوين، ولِيَ الجبل وأصبهان مدة، وله نظم ونثر، توفي مسجوناً في حُدُود سنة (٢٩٩ هـ).
ومن بديع شعره قولُه :

صافحتُ إبريقَهُ فتمْتم لي حتىٰ توهّمتُهُ كَتَأْتَاءِ
حتىٰ إذا عادَ في فصاحَتِهِ عادَ لساني لسانَ فَأْفَاءِ!

ومن لطيف ما حُكي عنه أنه قال يوماً : وُلد لي سِبطٌ فما أسمّيه ؟ فقيل له: لا تَخرج من الاصطبل وسمِّه ما شئتَ !!
يعني لأن اسمَه: ابنُ أبي البغل !
انظر الفهرست لابن النديم (ص/ ١٦٩) ، والوافي بالوفيات للصفدي (٢/ ٣٦) ، ومحاضرات الأدباء للراغب (٢/ ٣٦٨) ، وتحفة الأمراء في تاريخ الوزراء للصابي (ص/ ٣٨٢) ، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون البغدادي (٧/ ٢٤٩) ، والمحبّ والمحبوب والمشموم والمشروب للسري الرّفّاء (ص/ ٣٥٤) ، وهديّة العارفين للباباني البغدادي (٢/ ٤٣).

لو كنتُ أجهلُ ما علمتُ لسرّني جهلي، كما قد ساءني ما أعلمُ !!
الصَّعْوُ [١] يصفو آمنًا من جهله حُبِسَ الهَزَارُ [٢] لأنّه متـــرنّمُ [٣]

أو ما قاله صِنْوُهُ المقدِّم للجَهْل ! :

جمعتُ فنونَ العلم أبغي بها الغنىٰ ويمنعُني مما أُحاولُه القُلُّ
تبيّنَ لي أنّ العلومَ بأسْرها فروعٌ وأن المالَ قطعًا هو الأصلُ !! [١]

أما ثالثةُ الأثافي، فهي قولُ مُثيرُ الهِنَافِ [٤] :

المالُ يستر كلَّ عيبٍ في الفتىٰ والمالُ يرفعُ كل نَذْلٍ ساقطِ
فعليك بالأموال ، فاقصِدْ جمعَها واضربْ بكُتْب العلم عُرْضَ الحائط!! [٢]

فيا ضَيعةَ العِلم، بين ما لا همَّ له في العِلم إلا المَغْنَم !

ولذا تجد زُمرةَ هؤلاءِ قد نسجت خيوطَها حولَ (البنكنوتْ) [٥]، كفعل

---

(١) الصَّعْوُ: صِغارُ العصافير، والأنثىٰ: صَعْوة، وهو طائرٌ أحمرُ الرأس . انظر العين للفراهيدي (٢/ ١٩٩) ، وحياة الحيوان الكبرىٰ للدَّميري (٢/ ٨٧).

(٢) الهَزارُ: هو العَنْدَليب. الصحاح للجوهري (١/ ١٨٩).

(٣) انظر اللطائف والظرائف للثعالبي (ص/ ٥٠) ، وديوان المعاني للعسكري (٢/ ٩٢) ، والأمثال المولَّدة للخوارزمي (ص/ ٨٩).

(٤) الهِنَافُ هو: الضَّحِكُ بسُخْرِيَةٍ. تاج العروس للزبيدي (٢٤/ ٥٠١).

(٥) البنكنوت: أوراقٌ مصرفيَّةٌ رسميَّةٌ مطبوعةٌ يتعامل بها النّاسُ بدلًا من المسكوكات النقديَّة، وأوّل من اتّخذها هم الصِّينيّون. معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر (١/ ٢٤٩).
وجاء في «التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم» للكُردي (٥/ ٢٧٦) : « لا يُعلم متىٰ بُدئ باستعمال ورق النقد علىٰ وجه التحقيق، وقد زعم بعضُ المؤرخين أن الصينيين أول من استعمل ورق النقد، ولكن هذا لم يثبت بعد، والأرجحُ أن =

العنكبوتْ، التي تَسكنُ البيوتْ !

ولقد جاوز عثمانُ بن خُمَارِتاشِ الهِيْتي [١] الصواب، واستوجب العتاب،

=إنجلترا أول من استعمل البنكنوت بعد حرب نابليون.
ويوجد الكلام علىٰ البنك والبنكنوت في مجلة مصر الحديثة المصورة بتاريخ ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٣٠ التعامل بالفلوس الورق.
وقال ابن بطوطة في رحلته التي كانت سنة خمس وعشرين وسبعمائة من الهجرة ما يأتي : وأهلُ الصين لا يتبايعون بدينار ولا درهم، وجميع ما يتحصّل ببلادهم من ذلك يسبكونه قِطَعاً كما ذكرناه، وإنما بيعهم وشراؤهم بقِطَع كاغَد - الكاغَد هو الوَرَق بفتح الواو والراء - كل قطعة منها بقدر الكف، مطبوعة بطبع السلطان، وتُسمّي الخمسَ والعشرين قطعة منها : بَالِشْت، بباء موحدة وألف ولام مكسورة وشين معجم مسكن وتاء معلوّة، وهي بمعنىٰ الدينار عندنا، وإذا تمزقت تلك الكواغد - أي الأوراق - في يد إنسانٍ حملها إلىٰ دارِ كدار السّكّة عندنا، فأخذ عوضها جُدُداً، ودفع تلك الكواغد، ولا يُعطِي علىٰ ذلك أجرةً ولا سواها؛ لأن الذين يتولون عملها لهم الأرزاقُ الجاريةُ من قبل السلطان، وقد وُكِّل بتلك الدار أميرٌ من كبار الأمراء، وإذا مضىٰ الإنسان إلىٰ السوق بدرهم فضة أو دينار ذهب يريد شراء شيء لم يُؤخذ منه ولا يُلتفت إليه حتىٰ يصرفه بالبالِشْت ويشتري به ما أراد. انتهىٰ من رحلة ابن بطوطة».
قلتُ : انظر كلامَ ابن بطوطة في رحلته المسمّاة : (تُحفة النظار، في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار) طبع أكاديمية المملكة المغربية (٤/ ١٢٩).

(١) هو عثمان بن خُمارِتاش بن عبد الله، أبو القاسم، من أهل هِيْت.
قال الصفدي : « كان أديباً فاضلاً مليح الشعر، لطيف الطبع، كيّساً طيّب العشرة ظريفاً».
وقال محب الدين ابن النجار: « كان متهاوناً في الأمور الدينية، عفا الله عنه» ، صنّف كتاب «الخمر وصفاتها» ! وتوفي سنة تسع عشرة وستمائة.
ومن شعره لما تزوّج:

كان رأيي أن لا يكون الذي كـ ـان فيا ليتني تُركتُ بِرايِي
لا يزال الإنسانُ يخدمه السعـ ـدُ إلىٰ أن يقول: بيتَ حَمَائِي!

حينما فضّل المالَ على الكتاب! :

المـالُ أفضـلُ مـا ادّخـرتَ فـلا تكـنْ في مِرْيـةٍ - مـا عشـتَ - مِـن تفضيلِـه
مـا صنَّـف النـاسُ العلـومَ بأسـرِها إلا بِحِيلتِهـــــم علىٰ تَحصيلِـــه!![٣]

ونحوُه ما كتبه بعضُهم إلى عمرَ بن شبَّة ناصحاً !!:

أجفـــاءً يا ابـــن شبّـةْ بعـــد نُصـــحٍ ومحبّةْ ؟
ولـــــزومٍ للـــدواويـ ـــن ومـــا يُعطـوك حبّةْ !
ليس يُغني عنك عندَ الـ ـــقوم سفيـــانُ وشُعبـةْ !
فالزمِ الجهلَ؛ فـــإنّ الـ ـــجهلَ عنـــد القوم رُتبةْ !
ودعِ العلـــــمَ فـــإنّ الـ ـــعلمَ في ذا الـدهر سُبّةْ !! [١]

وقال بعضُ الشعراء للقاضي ابن خلّاد الرَّامَهُرْمزيّ[٢]:

قـــل لابـــن خـــــلّادَ إذا جئـتَه مستنداً في المسجـــــدِ الجامـــــعِ:
هذا زمانٌ ليس يَحظَـــــىٰ بـــه حـــدَّثنـــا الأعمـــشُ عن نافعِ!![٣]

وقوله :

قالوا: هداك الشيبُ، يا ليتني دام ضلالي وعدمتُ الهدىٰ !!

انظر ذيل تاريخ بغداد لابن النجار (١٧/ ٢٠٤) ، والوافي بالوفيات للصفدي (١٣/ ٢٦٢)، وفوات الوفيات للكُتبي (٢/ ٤٣٨) .

(١) اللطائف والظرائف للثعالبي (ص/ ٥١).

(٢) ربما كان هذا النموذجُ والنماذجُ بعده من باب السخرية من أهل ذلك العصر ليس إلاّ، أقوله من باب الإنصاف.

(٣) المصدر نفسه.

وقريباً منه قولُ أبي موسى بن عمران:

ما للتجـارب مـن مـدىً ... والمرءُ منهـا في ازديـادْ
قـد كنتُ أحسِب ذا العـلا ... من حاز علمـًا واستفادْ
فـإذا الفقيهُ بغيـر مـا ... لٍ كالخِبـاء بلا عمادْ!
شـرفُ الفتىٰ بنُضـاره ... إنّ الفقير أخـو الجمادْ!
ما العلـمُ إلا جـوهرٌ ... قد بِيعَ في سوق الكسـادْ![1]

وقال ابنُ لَنْكَكَ البصريُّ:

يَا طَـالبًا بِالْعـلمِ حـظًّا مُسعِداً ... فِي ذَا الزَّمَان، رأيتَ رَأْيِ مُخرْنِق
إِنْفَاقُ علـمٍ فِـي زمَـان جَهَالَةٍ ... ترجو، ودهرِ عمىً، وسُخْفٍ مُطبِقِ
كُنْ ساعـيًا ومُصافِعـًا ومُضارِطًا! ... تَنَلِ الرغائبَ في الـزَّمَان وتَنْفُـقِ
أَو مَا رَأَيْت مُلُوكَ عصركَ أصبحوا ... يتجمَّلون بِكُلِّ قـاصٍ أحـمقِ
لَا تَلْقَ أشباه الحمير بحكـمةٍ! ... مَوِّهْ عليهم ما قَدِرْتَ ومَخْـرِقِ!

وقال الأديبُ المصريُّ عبدُ الله النديم في رسالةٍ كتبها لأحد أصدقائه:

يـا صاحِبِـيْ دعْ عنـكَ قـولَ الهـازلِ ... واسـمعْ نصيحـةَ عـارفٍ بالحاصِـلِ
اِجهلْ تجدْ صفـوَ الـزمـانِ فـإنه ... مـن قِسـمةِ الفَـدْم الغبـيِّ الجاهلِ!
ودعْ التعـقّلَ بالتغفّـل يستـقمْ ... أمـرُ المعـاش، فحظُّـه للغـافلِ!
وارضَ البـلادةَ تغـتنمْ مـن بابهـا ... مـالًا وجـاهًا بعـدَ ذكـرٍ خاملِ!

(١) نفح الطيب للمقّري (٣/ ٥٩٨).

وإذا أبيتَ سوى العلومِ فلا تضقْ بحـروب دهرٍ لا يميلُ لفاضلِ!

قلِّـبْ تواريخَ الأُلى سبقـوا تجدْ دنياكَ ما قِيدَتْ بغيرِ الباطلِ!! [١]

ومن الأمثالِ لدى الجهَلَة الرَّعَاع: « كَفٌّ بَخْتٍ، خيرٌ من كُرّ عِلْمٍ»!! [٢].

وقولِهم : «جَهلٌ يعولُني خيرٌ من علمٍ أعولُه»!! وهو من أمثال أهل بغداد[٣].

ونحوُه قولُ بعضِهم:

وما أصنعُ بالعلمِ إذا أُعطيتُ بالجهل؟!![٤].

- ٣ -

لقد أحْفَظَني - إذْ ذاك - ما كان من فِعل هذا الناشرِ الأفِينِ وأضرابِه، فكتبتُ - وقتَها - هذه القصيدةَ : (الرَّهْص والوَهْص)[٥] ؛ رَدْعاً، ودَفْعَاً، وقَمْعَا،

(١) في الأدب الحديث لعمر الدسوقي (١/ ٤٢٠).

(٢) اللطائف والظرائف (ص/ ٥٠) ، وتحسين القبيح وتقبيح الحسن للثعالبي (ص/ ٤٧).
والكُرّ : اثنا عشر وَسْقًا ، والوَسْقُ : ستون صاعاً . فالمجموع سبعمائة وعشرون صاعاً ، والصاع يساوي ٢١٧٥ جراماً تقريباً ، فيكون الكُرّ – بميزان اليوم – ١٥٦٦ كيلو جرام !
انظر مفاتيح العلوم للخوارزمي (ص/ ٣٠) ، ومجمع بحار الأنوار للفتَّني (٤/ ٣٩٠)، والمصباح المنير للفيومي (٢/ ٥٣٠) ، وبحث تحويل الموازين والمكاييل الشرعية إلىٰ المقادير المعاصرة للشيخ عبد الله بن منيع (ص/ ٢٣)، منشور في مجلة البحوث الإسلامية عدد (٥٩).

(٣) الأمثال المولَّدة (ص/ ٨٩) ، واللطائف والظرائف (ص/ ٥٠).

(٤) اللطائف والظرائف (ص/ ٥٠) ، وتحسين القبيح وتقبيح الحسن (ص/ ٤٨) .

(٥) الرَّهْصُ : شِدَّةُ العَصْر. ومنه: «فرمينا الصيد حتىٰ رهصناه» أي أوهنَّاه. انظر تهذيب اللغة للأزهري (٦/ ٦٩) ، والمجموع المغيث لأبي موسىٰ المديني (١/ ٨٢٩) ، =

ولا أُريد أن أقول: صَفْعاً ! ومَصْعاً ! ورَصْعَا !

بَيْـدَ أني لـما استأذنتُ شـيخيَ العلّامـةَ، الدكتـورَ/ **عبـدَ العزيـز بـنَ محمـد آل عبـد اللطيـف** [١] - عليـه الرحمـةُ والرضـوانُ - في نشرهـا وقـتَ ذاك، غَصَنَني [٢] عـن مُـرادي، وقـال لي كلمـةً بليغـةً تُكتَـبُ بـماء التِّـبْرِ المصفَّـى: «أرى أن تَحـذِفَ اسـمَه؛ فمثـلُ هـذا يَفـرحُ بالهجـاء كـما يَفـرحُ غـيرُه بالمـدْح !!!» [٣].

=ومجمـع بحـار الأنـوار للفتَّنـي (٢/ ٤٠١) .

والوَهْـصُ : الكسْـرُ، والرمـيُ العنيـف، يُقـال : وهَصَـه إلـىٰ الأرض، أي رمـاه رميًـا شـديدًا، كأنـه غمـزه في الأرض. انظـر العيـن للفراهيـدي (٤/ ٧١) ، والألفـاظ لابـن السكّيت (ص/ ٩٣) ، والصحـاح للجوهـري (٣/ ١٠٦٢) ، ومجمـع بحـار الأنـوار للفتَّنـي (٥/ ١٤٠).

(١) تتلمـذتُ علـىٰ يـد الدكتـور / عبـد العزيـز آل عبـد اللطيـف رحمـه الله تعالـىٰ في الدراسـات العليـا بكليـة الحديـث الشـريف بالجامعـة الإسـلامية عـام (١٤١٥هـ) - مُسـتَمِعاً لا مُنتَظِمـاً إذْ كنـتُ وقتَهـا قـد حصلـتُ علـىٰ الماجسـتير- وكان - رحمـه الله تعالـىٰ - مثـالاً يُحتـذىٰ للعالـم العامـل.

ولقـد كتبـتُ عنـه مقـالاً إبَّـانَ وفاتـه - رحمـه الله - في شـهر ذي الحجّـة مـن عـام (١٤٢١هـ) ونشـرتُه في جريـدة المدينـة (ملحـق الـتراث) بتاريـخ ٢٨/ ١٢/ ١٤٢١هـ ، بعنـوان: (مـات الناقـدُ ونَفَقَـت البهَـارجُ !).

(٢) غَصَنَنِـي : ثَنَـاني . قـال ابـنُ الأعرابـي : غَصَنَنِـي فـلانٌ عَـن حَاجَتـي يَغْصنُنـي أَي ثَنَانِـي عَنْهَـا وكَفّنِـي . تهذيـب اللغـة (٨/ ٦١).

(٣) **قلتُ:** بل قد يبحثون عن الهجاء ويتطلّبونه ولو بالمال؛ حُبًّا في الشُهْرة !!

فمن أولئك :

- بشـارُ بـنُ بُـرْد، فقـد هجـا جريـرًا الشـاعرَ المشـهورَ بأشـعارٍ كثيـرةٍ ليُجيبَـه فلـم يُجبْـه! فقـال بشـارٌ : «لـم أهْجُـهْ لأغلبَـه، ولكـن ليُجيبنـي فأكـونَ مـن طبقتـه، ولـو هجـاني لكنـتُ أشـعرَ النـاس !!».

- وهجـا الطِّرِمَّـاحُ بـنُ حكيـمٍ الفـرزدقَ، فقـال الفـرزدقُ يتهـاون في أمـره ويسـتحقره وقـد عـرفَ مقصـودَه :

إنّ الطِّرِمَّاحَ يَهجوني لِأرفعَه أيهاتَ أيهاتَ عِيلَتْ دونَه القُضُبُ !

- وهجا حمادُ عَجْرَدٍ بشارَ بنَ بُرْدٍ، فلم يُجبْه أنفةً واحتقاراً، ثم أخطأَ بشارٌ فردَّ عليه! فقال الجاحظُ : «ما كان ينبغي لبشارٍ أن يُضادَّ حمادَ عَجْرَدٍ من جهة الشعر؛ لأن حماداً في الحضيض، وبشاراً في العَيُّوق (اسم كوكب)، وليس مُولَّدٌ قُرَويٌّ يُعَدُّ شِعرُه في المُحْدَثِ إلّا وبشارٌ أشعرُ منه».

- وهجا ابنُ الرومي البحتريَّ - وابنُ الرومي مَنْ قد عَلِمتَ - فأهدىٰ إليه البحتريُّ تَخْتَ متاعٍ وكِيسَ دراهم، وكتب إليه لِيُرِيَه أنّ الهديةَ ليست تَقيَّةً منه، لكنْ رِقّةً عليه، وأنه لم يَحْملْه علىٰ ما فعل إلا الفقرُ والحسدُ المُفْرِطُ:

شاعرٌ لا أهابُهُ نَبَحَتْني كِلابُهُ !
إنّ مَن لا أُعِزُّهُ لعزيزٌ جَوابُهُ !

ومعنىٰ: نَبَحَتْنِي كِلابُه: أي لَحِقَتْنِي شَتائِمُه. كذا في المجموع المغيث: للمديني (٣/ ٢٥٣).

- وكذا فعل المتنبِّي حين بُلِيَ بحماقات ابن حَجّاج البغدادي، فقد سكتَ عنه ولم يُجبْه احتقاراً له واطّراحاً، لأنه ليس من أنداده ولا في طبقته.

- ولما وصل أبو القاسم بنُ هانئ إلىٰ أفريقية هجاه الشعراءُ، فقال: لا أُجيبُ منهم أحداً إلّا أنْ يَهجُوَني عليٌّ التونسيُّ؛ فإني أُجيبُه، فلما بلغ قولُه علياً قال: أمَا إني لو كنتُ ألْأمَ الناس ما هَجوتُه بعد أنْ شرَّفني علىٰ أصحابي وجعلني من بينهم كُفْئاً له !

- وهجا مخلدُ بنُ بكار الموصليُّ أبا تمامٍ الطائيَّ بقوله - وقد كانت في أبي تمامٍ حُبْسَةٌ شديدةٌ إذا تكلّم - :

يا نبيَّ اللهِ في الشعرِ ويا عِيسىٰ بنَ مريمْ !
أنتَ مِن أشعرِ خلقِ اللهِ ما لمْ تتكلّمْ !

وهجاه بأشعارٍ أخرىٰ كثيرةٍ، منها قولُه :

انظرْ إليه وإلىٰ خُبْثِهِ كيف تطايا وهو مَنشورُ!
وَيْحَكَ مَنْ دلّاكَ في نِسبةٍ قَلبُك منها الدهرَ مَذعورُ؟
إنْ ذُكِرتْ طاءٌ علىٰ فَرْسَخٍ أظلمَ في ناظركَ النورُ!

فلم يُجِبْهُ أبو تمام، بل رآه دون المهاجاة والجواب، ولو هجاه لشرُفتْ حالُه ونَبُه ذِكْرُه ! =

ونـزولاً عنـد رأيـه؛ فقـد عزفـتُ عـن نشرهـا آنَ ذاك، فظلّـت حبيسـةَ أدراجـي

= انظـر مـا تقـدّم في : أخبـار أبـي تمـام: للصولـي (ص/ ٢٣٦)، والحيـوان: للجاحـظ (٤/ ٤٨٤)، والعمـدة في محاسـن الشـعر وآدابـه: لابـن رشـيق (١/ ٢٢٨) فمـا بعـد.

ضميمـة: جـاء في خلاصـة الأثـر في أعيـان القـرن الحـادي عشـر: للمحبّـي (١/ ٢٧٩) أنّ قـولَ ابـن حِكِّينـا البغـدادي في ابـن الشـجري العلـوي :

يـا سـيّدي، والـذي يُعيـذُكَ مِـنْ نظـمِ قريـضٍ يَصْـدا بـه الفِكْـرُ
مـا فيـكَ مِـنْ جَـدِّكَ النبـيِّ سـوىٰ أنـكَ لا يَنبغـي لـكَ الشِّـعْرُ !

ألطفُ في التعبير بمراتب من قول مخلدٍ الموصليّ :

يا نبيَّ اللهِ في الشعرِ ..... إلخ

وإن كان أصلُـه مـا قالـه الثعالبـيُّ في كتابـه المسـمىٰ بالشـكاية والتعريـف : إذا كان الرجـلُ متشـاعرًا غيـرُ شـاعرٍ قالـوا : فـلانٌ نبـيٌّ في الشـعر ! يعنـي أنـه لا ينبغـي لـه ذلـك. وانظـر وفيـات الأعيـان (٦/ ٤٩).

- وقـال عبـدُ القـادر البغـداديُّ في كتابـه الفَـرق بيـن الفِـرق (ص/ ١٩٧) عـن الزعفـراني صاحـب الفِرْقـة الزعفرانيـة وهـي مِـن فِـرق المرجئـة : « ذَكَـرَ بعـضُ أصحـاب التواريـخ أن هـذا الزعفـرانيَّ أراد أن يُشْـهِرَ نفسَـه في الآفـاق؛ فاكْـترىٰ رجـلاً علـىٰ أن يخـرجَ إلـىٰ مكـة ويسـبَّه ويلعنَـه في مواسـم مكـة؛ ليشـتهر ذِكـرُه عنـد حجيـج الآفـاق»!!!

- ومِـن المعاصريـن: الكاتـبُ المصريُّ/ خالـد محمـد خالـد - رحمـه الله تعالـىٰ - فقـد فعـل في أول أمـره الشـيءَ نفسَـه!

فقـد قـرأتُ قديمـاً مقـالاً (أُوردُه هنـا مـن الذاكـرة) نُشـر في صحيفـةِ المدينـة علـىٰ مـا أذكـر - للدكتـور مصطفـىٰ عبـد الواحـد - رحمـه الله تعالـىٰ - ذكـر فيـه كاتبُـه أنّ الأسـتاذَ خالـد محمـد خالـد ألّـف كتابـاً - لعلّـه «مِـن هنـا نبـدأ» الـذي دعـا فيـه إلـىٰ فصـل الديـن عـن الدولـة!! - فلـم يَـذِعْ ولـم ينتشـرْ، وظـلّ راكـداً مـدّةً مـن الزمـن، فأَوعـزَ إلـىٰ أحـد أصدقائـه أنْ يكتـبَ في نقـده مقـالاً لاذعـاً، ويَكيـلَ لـه فيـه السِّـبابَ والشـتائمَ !! ففعـل صاحبُـه مـا أراد، وجعـل عنـوانَ مقالِـه: كتـابٌ زائـغٌ لكاتـبٍ ضـالٍّ!! - أو عبـارةً نحوَهـا - ثـم سـلّم المقـالَ للشـيخ الأزهـري علـي الغايـاتي، لينشـره في صحيفتـه. ومـا إنْ نشـره؛ حتـىٰ تهافـتَ النـاسُ علـىٰ شـراء الكتـاب، ونَفِـدَت نُسـخُه خـلالَ فـترةٍ وجيـزةٍ ! وطُبـع سِـتَّ طبعـاتٍ في سـنتين ! وتُرجِـم في نفـس السـنة التـي صـدر فيهـا إلـىٰ الإنجليزيـة! وكُتبـتْ عنـه مقـالاتٌ عـدّةٌ في أنحـاءَ متفرقـةٍ مـن أوروبـا وأمريـكا !!=

أكثرَ من عشرين سنةً ! [١].

- ٤ -

ثمّ إني رأيتُ اليومَ - وقد استفْحَلَ الخطْبُ، واتَّسع الخَرْقُ - أن أفكَّ أسرَها، وأكشِفَ سِترَها، وأُمضيَ نشرَها، ولله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ !

وأُحِبُّ أن أُشيرَ هنا إلى أنني قد صَرَّفتُ **قصيدتي هذه** على القوافي العَويصَة: (الضَّاد)، و (الذَّال)، و (الشِّين)، و (الطَّاء)، و (الثَّاء)! لا حُبّاً في هذه القوافي! ولا إبرازاً للمَلَكَة! [٢]، لكنْ خشيتُ أن تروقَ لأحدِ هؤلاء الناشرين فيسرقَها ويطبعَها !!!

= ثم إن الأستاذَ خالداً تاب منه بعدَ ذلك لما رأىٰ من حفاوةَ أعداء الإسلام بالكتاب! وأدرك أنه أخطأ فيه، وأعلن علىٰ الملأ رجوعَه عنه، وصار فيما بعدُ كاتباً إسلامياً.

(١) نما إلىٰ عِلْمي أنّ الشيخَ العلاّمةَ الثبْتَ / بكر بن عبد الله أبو زيد - رحمه الله تعالىٰ - لما بلغه خبرُ قصيدتي هذه تمنّىٰ أن لّو أدرجَها في كتابه (الرقابة علىٰ التراث)، وكان قد صدَرَ حينَها.
ولذا رأىٰ الدكتورُ / صالحُ اليافعيُّ مشكوراً تحقيقَ هذه الأمنيّة لدىٰ الشيخ بكر؛ فذيّل بها كتابَه الذي ألّفه عن سيرة الشيخ بكر أبو زيد وأخباره، وهو من مطبوعاتِ دارِ التوحيدِ بالرياض.

(٢) **إضاءةٌ:** كان بعضُ الشعراء يتطلّب القوافيَ الصعبةَ؛ وَلَعاً بالإغراب، وإبرازاً للمَلَكَة!
ومن العجبِ العاجبِ أنه علىٰ الرُّغم من وُعُورةِ هذه القوافي، وصعوبةِ تطلُّبها، إلا أنهم كانوا ينظمون عليها القصائدَ الطِّوالَ!!
وقد بسطتُ لك هنا بعضَ الموائد من تلك القصائد! فلا تضجرنَّ من طُولها، واشْدُدْ حَيازِيمَكَ لها، فكم في الموائد من فوائد!
فمِن أولئك الشعراء:
- أبو القاسم عبد الرزاق بن علي القيرواني :
قال عنه ابنُ رشيق في كتابه «الأنموذج»: « قادرٌ، يطلب الطباق والتجنيس طلباً شديداً، بالتصريف، وتبديل الحروف، ويستعمل القوافيَ العويصةَ، ويبعد المرامي=

= تحلّقـاً علىٰ المعـاني، ولا يـكاد يهمـل مـن التصنيـع إلا مـا أفلتـه ... كتـب إلـيّ - لمـا صنعـتُ هـذا الكتـاب - صُحبـةَ نُبَـذٍ أنفذَهـا إلـيّ لأثبتهـا:

يـا مبـرزاً إبريـز خيـر سـبيكةٍ ... ومكلِّـلاً إكليـلَ خيـر متـوّجِ
ومطـرزاً حُلَـل البلاغـة مُعجـزاً ... كل الـورىٰ ببراعـة «الأنمـوذجِ»
فكأنـه للسـمع لفـظُ أحبـةٍ ... وكأنـه للعيـن روض بنفسـجِ
وكأنـه للقلـب سـحرُ علاقـةٍ ... في مهجـة تخشـىٰ الصـدود وترتجـي
خصّصْـت أهـلَ الغـرب منه بمُشـرقٍ ... بأقـرّ مـن شـمس النهـار وأبهـجِ
رجّحـتَ بيـن ذوي الفصاحـة منهـم ... وفضلـتَ بيـن مرتَّـبٍ ومسـبَّجِ
وكشـفتُ عـن شـعري لتُلحقـه بـه ... فاسـتر علـىٰ خـلٍّ لسـترك مُحـوَجِ

ينظـر الـوافي بالوفيـات للصفـدي (١٨/ ٢٢٩) ، إنبـاه الـرواة علـىٰ أنبـاه النحـاة للقِفطـي (٢/ ١٧٤).

- ومنهم : علي بن عبد الكريم المعروف بابن غالب من أبناء المهدية :

قـال ابـن رشـيق : « شـاعرٌ مذكـورٌ، كثيـرُ الافتنـان، واسـعُ العَطَـن في أنـواع علـوم الديـن والدنيـا، قديـرٌ في التطويـل وركـوب القـوافي الصعبـة العويصـة، سـريعُ الصنعـة، يذهـب في الشـعر كلَّ مذهـبٍ، وينحـو في الرجـز نحـواً عجيبـاً، ويتعـرّب كثيـراً» ومـن شـعره قولُـه :

سـأصنع في ذمّ العَـذار بدائعـاً ... فمن شاء يقضي بالدليل كما أقضي
ألا إنـه كالـلّام، والـلّام شـأنُها ... إذا أُلصقت بالاسم صار إلىٰ نقض !

ينظر الوافي بالوفيات (٢١/ ١٧٥).

ومنهـم : أبـو بكـر محمـد بن يحيـىٰ بـن عبـد الله الصولـي (ت ٣٣٥هـ) : وكان ممّـن أُولع بهـذه الصنعـة حتـىٰ صـار أسـتاذاً فيهـا، ولـه عـدّةُ قصائـد تجـري علـىٰ هـذا الحَذْو.

- فمـن ذلـك مـا ذكـره عـن الخليفـة الراضـي أنـه أمـره أن يعمـل قصيـدةً علـىٰ قافيـة الضـاد، قـال : «فعملتُهـا، فلمـا وصلنـا إليـه في ذلـك اليـوم، أنشـده أحمـد بـن يحيـىٰ، وعلـي بـن هـارون، قصيدتيـن يهنّيانـه فيهـا بالخلافـة، ويصفـان سـرورهما =

=لاغتباطهما، فاستمعهما وأظهر استحسانهما، ثم أمر بإنشاد الضادية فأنشدتُه أياها، وأنا أذكرها هاهنا؛ لأنها ليست من الشعر الذي يأباه القلب ويمجّه السمع!

وفيها مدحٌ لابن ياقوت وللوزير وهي:

أَصْبَحَ الْمُلْكُ عالِيًا بأَبِي الْعَـ ... ـبَّاسِ أَعْلَىٰ الْمُلُوكِ بَعْدَ انْخِفَاضِ
واسْتَفَاضَ السُّرُورُ فِي سَائِرِ النَّـ ... ـنَاسِ بِمُلْكِ الْمُهَذَّبِ الْفَيَّاضِ
رَضِيَ اللهُ هَدْيَهُ فَاصْطَفَاهُ ... فَهُوَ بِاللهِ وَالْمَقَادِيرِ رَاضِي
مَنْ غَذَتْهُ الْعُلُومُ يَرْفَعُ مِنْهَا ... فِي جِنَانٍ أَنِيقَةٍ وَرِيَاضِ
كَمُلَ الْفَضْلُ والْفَضَائِلُ فِيهِ ... قَبْلَ عِشْرِينَ مِنْ سِنِيهِ مَوَاضِي
فَهُوَ بِالْعِلْمِ والتَّفَرُّغِ فِيهِ ... خَيْرُ آتٍ مِنَ الْمُلُوكِ وَمَاضِي
خَطَرَتْ نَحْوَهُ الْخِلافَةُ طَوْعًا ... بِاتِّفَاقٍ مِنَ الْوَرَىٰ وَتَرَاضِ
واصْطِفَاقٍ مِنَ الأَكُفِّ دِرَاكًا ... واجْتِمَاعٍ مَوفٍ وَعَزْمٍ مُفَاضِ
مَرِضَ الدِّينُ قَبْلَهُ وَأَتَاهُ ... بَارِئًا عِنْدَهُ مِنَ الأَمْرَاضِ
واسْتَلَذَّ الزَّمَانُ إِذْ أَسْفَرَ الْمُلْـ ... ـكُ وَجَلَّىٰ سَوَادَهُ بِبَيَاضِ
وَاجِدٌ بِالْعُلُومِ وجْدَ مُحِبٍّ ... رَاعَهُ مَنْ يُحِبُّ بِالإِعْرَاضِ
يَرِدُ النَّاسُ مِنْهُ أَغْدَارَ جُودٍ ... طَيِّبُ الْوِرْدِ مُتْرَعُ الأَحْوَاضِ
حَمِدوا مِنْ مُحَمَّدٍ حُسْنَ مُلْكٍ ... يَتَقَضَّي حَقَّ الْوَرَىٰ وَتَقَاضِي
نِعَمٌ لِلْوَلِيِّ مِنْهُ حَبَاهُ ... وَمَنَايَا عَلَىٰ الْعَدُوِّ مَوَاضِي
تَمْلِكُ الْخَطْبَ مِنْهُ عَزْمَةُ رَأْيٍ ... يُذْعِنُ الصَّعْبُ عِنْدَهَا لارْتِيَاضِ

ومضىٰ فيها، إلىٰ أنْ قال:

يَا إِمَامَ الْهُدَىٰ اسْتَمِعْ لِوَلِيٍّ ... سَائِرٍ فِي مَدِيحِكُمْ رَكَّاضِ
بَذِلُ النفسِ، واجِبٌ لك مَحْضُ الـ ... ـنُّصْحِ، مِنْ أُسْرَةٍ لَكُمْ أَمْحَاضِ
كُلُّ عَاصٍ بِحِلْدَتِهِ العُـ ... ـرُّ، فهم هَانِئُوهُ بِالخَضْخَاضِ
يَفْضُلُ النَّاسَ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْبَأْ ... سِ كَفَضْلِ الدَّيْسِ لابْنِ مَخَاضِ
قِبْلَةُ الْحَرْبِ حِينَ تُجْتَنَبُ الْحَرْ ... بُ وَتُرْدَىٰ خُيُولُهَا فِي الْعِرَاضِ
عَضَّدَ الْمُلْكَ فِيهِ بالأَيِّدِ الْـ ... ـعَالِمِ شَافِي الْمَحلّ بالإِحْمَاضِ

بَـاذِلِ الـرَّأْيِ سَـالِكٍ شِـعْبَ عَـزْمٍ ... مَـا الْمَصَاعِيـبُ فِيـهِ كالأَحْفَـاضِ
أَخْصَبَـتْ أَرْبُـعُ الْـوَرَىٰ بِإِمَـامٍ ... قَاتِـلِ الْمَحْـلِ جَابِـرِ الْمُنْهَـاضِ
عَـرَفَ النَّـاسُ فَضْلَـهُ مِثْلَ مَـا يُعْـ ... ـــرَفُ قَصْـدُ السِّـهَامِ بالأَنْبَـاضِ
مَـنْ رأَىٰ حُبَّـهُ كَنَافِلَـةِ الْـ ... ـــفَرْضِ فَإِنِّـي أَرَاهُ كالإِفْتِـرَاضِ
أَيَّـدَ اللهُ مُلْكَـهُ بِوَزِيـ ... ـــرٍ مُسْـتَقِلٍّ بـرَأْيِهِ نَهَّـاضِ
عَالِـمٍ بِالزَّمَـانِ قَـدْ رَاضَ مِنْـهُ ... جَامِحًـا آبِيًـا عَلَـىٰ الـرُّوَّاضِ
لَـمْ يَطُـفْ بِالْيَقِينِ مِـنْ ظَنِّـهِ الـشَّـ ... ـــكُّ وَلاَ حَـالَ دُونَـهُ بِاعْتِرَاضِ
ضَـرَبٌ فِي لُهَـىٰ وَلِيِّـكَ مَـاضٍ ... وسَـهُادٌ عَلَـىٰ عَـدُوِّكَ قَاضِـي
نَاصِحٌ لَـمْ يَخُـضْ ضَحَاضِحَ غِـشٍّ ... فِـي الزَّمَـانِ الْمَاضِـي مَـعَ الْخُـوَّاضِ
مَـوَّلَ اللهُ بَيْـتَ مَالِـكَ مِنْـهُ ... باجْتِمَـاعٍ مِنْـهُ لاَ بارْفِضَـاضِ
غَيْـرَ مَـا حَافِـلٍ إِذَا انْتَحَـلَ النُّصْـ ... ـــحَ بِشَكْوَىٰ مُغَاضِبٍ أَوْ مُرَاضِي
مِنْ أُنَـاسٍ أَقَلاَّمُهُمْ أَسْـهُمُ الْمُلْـ ... ـــكِ وَلَكِنَّهَـا بِغَيْـرِ وِفَـاضِ
جَامِعَـاتٍ لِلأَمْـرِ بَعْـدَ افْتِـرَاقٍ ... جَابِـرَاتٍ لِلْعَظْـمِ بَعْـدَ انْهِيَـاضِ
مَـا رَأَتْ سَـاعِيًا علـىٰ الْبَيْـنِ إِلاَّ ... قَيَّـدَتْ سَـعْيَهُ بِغَيْـرِ الإِيَـاضِ
نَفَثَـتْ بِالْمِـدَادِ سُـمًّا عَلَيْـهِ ... نَفْـثَ أَنْيَـابِ حَيَّـةٍ نَضنَـاضِ
فَابْـقَ يَـا سَـيِّدَ الْمُلُـوكِ لَـهُ تُبْـ ... ـــرِمُ بِالـرَّأْيِ مِنْـهُ كُلَّ انْتِقَاضِ
وَتَمَـلَّ النَّيْـرُوزَ تِسْـعِينَ عَامًـا ... سَـامِيًا والْعَـدُوُّ ذُو إِغْضَـاضِ

فقـال - وكان عالمـًا بالشـعر ناقـداً -: مـا أعـرف مثـل هـذه الضاديّـة لقديـم ولا محـدَثٍ، وإنهـا لحُمَتُـكَ رميـتَ بهـا كمـا كانـت (قَـدْ جَبَـرَ الدِّيـنَ الإِلـهُ فَجَبَـرْ) حُمَـةُ العجّـاج رمـىٰ بهـا، فقلـت لـه: يُبقـي اللهُ سيدَنا، وهـا هنـا حُمَّـاتٌ مثلُهـا كثيـرةٌ!». كتـاب الأوراق للصولـي (٢/ ١٠ - ١٦).

قلـتُ: قولـه: (وإنهـا لحُمَتُـكَ رميـتَ بهـا)، الحُمَـةُ: الإبـرة التـي تَضـرِبُ بهـا العقـربُ والزنبـورُ ونحـوُ ذلـك. انظـر جمهـرة اللغـة لابـن دُريـد (١/ ١٠٢)، والمعجـم الوسـيط (١/ ٢٠١).

والمعنـىٰ أنـه قـد بـذل أقصـىٰ مـا يملـك، وأهـمّ مـا عنـده، وليـس بقـادرٍ علـىٰ أن يـأتيَ بمثلهـا!

وقولـه: (قَـدْ جَبَـرَ الدِّيـنَ الإِلـهُ فَجبرْ)، هـذا مـن الرجـز الفائـق الـذي قالـه العجّـاج!=

=قال أبو عبيدة : « ما زالت الشعراء تقصِّر بالرُّجَّاز حتىٰ قال أبو النجم:

الحمد لله الوهوبِ المُجزلِ

وقال العجّاج:

قد جَبَرَ الدينَ الإلهُ فجَبَرْ

وقال رُؤبة:

وقاتمِ الأعماقِ خَاوي المُخترقْ

فانتصفوا منهم». انظر الأغاني للأصبهاني (١٠/ ١٨٣- ١٨٤) ، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (٧/ ١٦٢).

- وقال أيضًا : « وافَىٰ راغبٌ خادمُ الراضي بالله من الثغر، وكان قد شهد الفداء إلىٰ الموصل، فوجّه به الراضي، فَلقيَنا بين الحديثة والسن، فسلمنا عليه، وكانت معه دواب، فحمل القاضي عليها؛ لأن الراضي أمره بذلك، وأراد أن يتقدم وصولُه، وتبعه من كان له مركوبٌ، وبقينا نحن أياماً كثيرةً إلىٰ أن وصلْنا إلىٰ الموصل، ودخلنا إلىٰ الراضي بعد عشرين يوماً من مفارقتنا إياه، وكان في نفسي ما قاله الراضي حين أنشدتُه قصيدتي الضاديّة وقتَ جلوسه: «هذه حُمَتُك رميتَ بها». وأردتُ أن أعمل قصيدةً أشكو فيها غرقنا وما نالنا فقلت: والله لأجعلنّها ضاديةً؛ ليَعلم أن تلك لم تكن حُمَتي ! وأنه قد بقيت لي قصيدةٌ - وأنا في الزورق مع ابن حمدون - نحو تلك القصيدة في الطول وهي:

أَبَغِضتَهُ مِنْ بَعْدِمَا بُذِلَ الرِّضَا؟ هذَا تَجَنٍّ مِنْ حَبِيبٍ يُرتضَىٰ!
لاَ تجْزَعَنْ للْبُعْدِ تُوعَدُهُ غَداً فَاللهُ يَصْرِفُهُ بما فيهِ قضَا
ظُلِمَ الحَبِيبُ فَأَظْلَمَ الْبَيْتُ الَّذِي أَمَّتْ مَطاياهُ بِهِ ذات الأَضَا
قَدْ قَالَ بَشَّارٌ وكانَ مُسَدَّداً يَحْوِي المعَانِي إنْ رَمَىٰ أَوْ أَنْبَضَا
قَدْ ذُقْتُ أُلْفَتَهُ وذُقْتُ فِراقَهُ فَوَجَدْتُ ذَا عَسَلاً وذَا جَمْرَ الغَضا
خُذْ مِنْ زَمانِكَ ما صَفَا لَكَ قَلَّما يُغْنِيكَ غُمُّكَ بِالتَّكَدُّرِ إذْ مَضىٰ
واصْبِرْ عَلَىٰ غَرَقٍ بِنُعْمىٰ نلْتَهَا إنَّ الزمانَ لَمُقْتَضٍ مَا أَقْرَضا
فَهَوَيْتَ فِي لُجٍّ عَلاكَ عُبابُهُ لا بُدَّ أَنْ تَلْقَىٰ الَّذِي لَكَ قُيِّضَا
إنْ قُمْتَ فِيهِ لَمْ تَطُلْهُ لِغُزْرِهِ ورَأَيْتَ تَحْتَ الرِّجْلِ مِنْهُ مَدْحضَا

وَتَسَـرَّعَتْ مِنْـهُ إلَيْـكَ حِجَـارَةٌ ... تَـذَرُ الصَّحِيحَ مِـنَ الْعِظَـامِ مُرَضَّضَـا
وَكسـاكَ مِـن يَـدِهِ وَلَـمْ تَسْتَكْسِـهِ ... عُشُـراً يُؤَلِّفُـهُ المُـدُودُ وَعِرْمضـا
نَجَّـاكَ مَـنْ نَجَّـا بِلُطْـفٍ يُونُسـاً ... مِنْـهُ، وكَانَ لِقَبْـضِ رُوحِـكَ معْرِضـا

ومضىٰ فيها، إلىٰ أن قال :

يـا واحِـدَ الْكَـرَمِ الَّـذِي نَلْقَـىٰ بِـهِ ... وَجْـهَ الزَّمـانِ إذا تَسَـوَّدَ أَبْيَضَـا
خُذْهـا إلَيْـكَ قَوافِيـاً قَـدْ لُبِّسَـتْ ... رَقْمـاً أَبـىٰ تَحْسِـينُهُ أَنْ يُرْفَضَـا
كانَـتْ مُجَمَّحـةَ الظُّهُـور نَوافِـراً ... فَأَتَتْـكَ لَيِّنَـةَ المَقـادَةِ رُيَّضَـا
لَفْظـاً أَلِيفـاً للْقُلُـوب مُحَبَّبـاً ... لَـمْ يُلْـفِ وَقْـراً فِي المَسـامِعِ مُبْغَضـا
مِـنْ شِـعْرِ مَقْصُـورِ الْمَـدَىٰ مُتَكَلَّـفٍ ... إنْ رَامَ نَهْجـاً فِي طَرِيـقٍ أَدْحِضَـا
وكَأَنَّـهُ ثِقْـلاً فِـرَاقُ أَحِبَّـةٍ ... نَـادىٰ بـه داعِـي الشّـتاتِ وحَضَّضَـا
بَـلْ مُرْسَـلاً طَبْعـاً فَسِـيحاً ذَرْعُـهُ ... قَـدْ شَـفَّ ذَا البـاعِ القَصِيـرِ وَأَرْمَضَـا
وإذَا أَمـالَ إلَيْـهِ سَـمْعاً صاعَـدَتْ ... أَنْفَاسُـهُ؛ أَسَـفاً عَلَيْـهِ وابْغَضَـا
أَحْذاكَـهُ مَـنْ لاَ يَـزالُ ضَمِيـرُهُ ... عَمَّـا كَرِهْـتَ مِـنَ الْمَذَاهِـبِ مُعْرِضـا
أَفْنَـىٰ الزَّمـانَ بِخِدْمَـةٍ لَـكَ آمِـلاً ... مـا نِلْتَـهُ، فَأَنَلْـه غايـاتِ الرِّضَـا
وَمَدائِـحٍ سَـبَقَتْ إلَيْـكَ بأَسْـرِهَا ... يَأْتِيـكَ قَائِلُهَـا بِهَـا مُتَعَرِّضَـا
مَـا شَـرَّفَتْهُ خِدْمَـةٌ لَـكَ قَبْلَهَـا ... حَتَّـىٰ مَلَكْـتَ فَدَسَّـهُنَّ مُعَرِّضَـا
وَأَصَـابَ مَرْعـىً فِي فِنَائِـكَ مُمْرِعـاً ... فَأَخَـلَّ فيـهِ بالْحُظُـوظِ وَأَحْمَضَـا
إذْ سَـيْفُ عَزْمِـكَ كَامِـنٌ فِي جَفْنِـهِ ... أَرْجُـو انْتضـاكَ لَـهُ وَلَمَّـا يُنْتَضـىٰ
هَـذي سَـوَابِقُ لا يمُـتُّ بِمِثْلِهَـا ... مَـنْ قَدْ أَتَـىٰ خَلْـفَ السُّكَيْت مُرْكّضا
فَأَفِـدْ وَعَـوِّضْ مَادِحـاً لَـكَ رَاجِيـاً ... فَلأَنْـتَ أَكْـرَمُ مَـنْ أَتَـالَ وَعَوَّضَـا

فلما أنشدتُه إياها قال: صدقتَ يا صوليّ، قد بقيتْ لك حُمّاتٌ! وهذه الضاديةُ أفحلُ كلاماً من تلك، وتلك أنْعَمُ لفظاً، وكلتاهما في نهاية الجودة. فقلت: أنا واللهِ - يعلمُ سيّدُنا - بالشعر أحترسُ إذا مدحتُه، فضحكَ». كتاب الأوراق للصولي (٢/ ١٢٣ - ١٢٨).

ـ وقال أيضاً: « كان الراضي وعدني بفَصٍّ كنتُ استحسنتُه، فكتبتُ إليه بقصيدةٍ أسأله فيها التوجيه إليّ بالفَصّ، فكتب إليَّ إنما أتفرّج بما يرِد عليّ من جهتك،=

=فاكتبْ إليّ بشعرٍ صَادِيٍّ، قافيتُه الفَصّ، فعملتُ القصيدةَ، وكتبتُ بها إليه، وهي:

أَلا قُلْ لَخِيْرِ النَّاسِ نَفْساً وَوَالِداً ... وَرَهْطاً وَأجْدَاداً مَقَالَةَ مُخْتَصِّ
مَحمَّدِ الْمَأْمُولِ وَالْمُقْتَدَىٰ بِهِ الْـ ... أَمِيرِ أبي الْعَبَّاسِ ذِي الْفَضْلِ لا النَّقْصِ
وَمَنْ جَمَعَ الآدَابَ بَعْدَ افْتِراقِها ... وَثَقَّفَهَا بِالْبَحْثِ مِنْهُ وبِالْفَحْصِ
دقِيقِ حَوَاشِي الذّهْنِ هُذِّبَ طَبْعُهُ ... وَمُحِّصَ فِي قُرْبِ الْمَدَىٰ أَيَّمَا مَحْصِ
بَعِيدِ الْقَبُولِ مِنْ حَسُودٍ مُكَاشِرٍ ... تَخَلَّفَ عَنْ أولاهُ بِالنَّزْغِ والْفَرْصِ
لِئَنْ سَاغَ لِي أَكْلِي وَشُرْبِي فَإِنَّنِي ... كَذِي شَرَقٍ مِنْ غَيْبَتِي عَنْهُ مُغْتَصِّ
وَقَدْ كُنْتُ ذَا حَظٍّ لَدَيْهِ وَزُلْفَةٍ ... فَجَاءَ الَّذِي حَاذَرْتُ فِيهِ عَلَىٰ غَفْصِ
بِفَسْخِ الَّذِي سَدَّىٰ وأَلْحَمَ بَاطِلاً ... وَقَد وَقَصَاهُ عَاجِلاً أَيَّمَا وَقْصِ
مِنَ اكْلُبِ خُوزَسْتانَ نَغْلٍ مُحَقَّرٍ ... ضَئِيلٍ خَفِيِّ الشَّخْصِ فِي صُورَةِ الدَّرْصِ
وَأَلْهَبَ مِنهُ الْجَمْرَ بِالنَّفْخِ حَابِلٌ ... عَلُوقٌ بِأَذْنَابِ الأَكَاذِيبِ كَالشَّصِّ
بَنُو مُعْوَرَاتِ الطُّرْقِ جَاءُوا بِعَوْرَةٍ ... ذَوُو الآنُفِ الذَّكَّاءِ والأَعْيُنِ الرُّمْصِ
أَولُوا بِطْنَةٍ فِي بَاطِلٍ وتَكَذُّبٍ ... وَصِدْقُهُمُ يَأْوِي إِلَىٰ أَبْطُنٍ خُمْصِ
فَمَا أَسْنَدُوا قَوْلاً إِلَي ذِي تَمَاسُكٍ ... ولاَ شَيَّدُوا زُورَ الْمَقَالِ عَلَىٰ إِصِّ

ومضىٰ فيها، إلىٰ أن قال:

فَقُولُوا لِمَنْ قَاسَ الأَمِيرَ بِغَيْرِهِ: ... تَأَيَّدْ، فَمَا الْكَيْلُ الْمُحَصَّلَ كَالخَرْصِ
تَيَمَّمْتَ زَوراً فِي الْمَقَالِ وَبَاطِلاً ... لَدَىٰ خُرُقٍ سَادَ الصُّخُورَ عَلَىٰ رَهْصِ
مَحَاسِنُ هَذَا الْخَلْقِ مِنْكَ ابْتِدَاؤُها ... وَيَجْذُبُهَا ذُو كُلْفَةٍ مِنْكَ كَاللِّصِّ
كَذَا الْمَجْدُ لاَ بِالْمَالِ يُجْمَعُ شَمْلُهُ ... وبِالدُّورِ شِيدَتْ بِالقَرَامِيدِ وَالْجِصِّ
فَلاَ زِلْتَ للدَّهْرِ الْمُمَلَّكِ مَالِكًا ... يُطِيعُكَ فِيمَا تَشْتَهِيهِ وَلاَ يَعْصِي
وَحُزْتَ مِنَ الأَعْمَارِ أَقْصَىٰ نِهَايَةٍ ... تفُوتُ مَدَىٰ الإِحْصَاءِ فِيهَا يَدُ الْمُحْصِي

فوجّه بخاتمٍ فصّه ياقوتٌ سمانجوني، ووجّه معه بِصِلةٍ، وكتب إليّ: ما أعرفُ والله مثل هذه الصاديّة لأحدٍ، وقد بخستُك في القيمة اضطراراً لا اختياراً، إلىٰ أن =

=يستقيم الزمانُ إن شاء الله.

وإنما آتي من الأشعار التي قلتُها في الراضي بطرفٍ؛ للحاجة إلىٰ المعنىٰ الذي قيلت فيه، وإلا فالشعر كثيرٌ فيه، وقد أتيتُ في عملي (أخبارَ المقتدر) بشيءٍ يسيرٍ منه، إلا أنني آمل أن لا يَستهجن الأدباءُ ما أُورد منه؛ لصلاحه وصفوته، وصعوبة قوافيه، وسلامته مع ذلك من تكلّفٍ يهجّنه، وسخافةِ لفظٍ ترذِّله إن شاء الله».

كتاب الأوراق للصولي (٢/ ٢٧ - ٣١).

ـ **وقال أيضًا:** « كنّا ليلةً نشرب مع الراضي، فوَصَلَنا، وجِيءَ برغيفٍ كبيرٍ بحرفٍ وافرٍ قد عُمل مِن نَدٍّ، فرمىٰ به إلينا. وقال: انتهبوه، فبدروني، فاستلبوه دوني، وسَخُفُوا وتَبَذّلوا، حتىٰ تكشَّف واحدٌ منهم! وكلُّ ذلك بعينه، فسألتُه العِوَض، فقال: صِفْ أمرَك معهم، وصِف الزبيدية؛ فإنك مشغوفٌ بها، وأنا علىٰ العبور عليها حتىٰ أُعوِّضَك. وانصرفتُ فعلمتُ في ذلك قصيدةً زائيةً هي مِن خير زائيةٍ قيلتْ قطُّ! فلذلك أذكرُها، وكان ذلك في أيام النيروز، وهي:

بَارَكَ اللهُ لِلأَمِيرِ أَبِي الْـ ... ـعَبَّاسِ خَيْرِ الْمُلُوكِ فِي النَّيْرُوزِ
وَأَرَاهُ أَوْلاَدَهُ الْغُرَّ أَجْدَا ... داً بِمُلْكٍ نَامٍ وَعِزٍّ عَزِيزِ
فَهُوَ أَوْلَىٰ بِهِ وبَالْجُودِ فِيهِ ... مِنْ ابْرويزَ وَمِنْ فَيْرُوزِ
لَهُمُ فِي الْهِلاَلِ هُرْمُزُروزٍ ... وَلَنَا الدَّهْرَ فِيكَ هُرْمُزُرُوزِ
فَاقْتَبِلْ جِدَّةَ الزَّمَانِ بِعَامٍ ... بَارِزٍ بِاللُّجَيْنِ وَالابْرِيزِ
ضَاحِكَاتٍ أَيَّامُهُ طَائِعَاتٍ ... طَاعَةَ الْحِبِّ بَعْدَ طُولِ النُّشُوزِ
وَاقْضِ حَقَّ النَّيْرُوزِ فِيهِ بِكَأْسٍ ... مُزْعَجٍ سَقْيُهَا بِكَأْسٍ وَكُوزِ
فِيهِ نَقْشٌ مُلَوَّنٌ مِنْ يَدَيْ مَنْ ... لَمْ تَشُبْهُ مَعَايِبُ التَّلْوِيزِ
طَلَعَتْ شَمْسُ وَجْهِهِ تَحْتَ دَاجِي الشَّـ ... ـشَعْرِ الْجَعْدِ صِبْغَةَ الشِّيرُوزِ

ومضىٰ فيها، إلىٰ أن قال :

أَنْتَ أَدْرَىٰ بالشِّعْرِ مِن قائِلِيهِ ... فاقْضِ فِيهِ بالْحَزْمِ والتَّعْجِيزِ
وكذا العِلْمُ بالمحرَّكِ والسَّا ... كِنِ فِي نَحْوِهِمْ وبالمَهْمُوزِ
لَيْس إلاَّ الَّذي يَضُمُّهُمُ المَجْـ ... ـلِسُ للإِنْتِحالِ والتَّمْييزِ

فَهُمُ فَوْقَ مَنْ يَرَىٰ قَوْلَ حَقٍّ ... غيرَ مُسْتَنْكَرٍ ولا مَنْهُوزِ
فأَجِزْنِي بِقَدْرِ علمِكَ بالأَشْـ ... ـعار، يا خَيْرَ مُنْعِمٍ ومُجيزِ
بِدَنانِيرَ لا أُحَالُ علىٰ الْجِهْـ ... ـبِذِ فيهَا، وَلاَ عَلَىٰ كُتُبٍ رُوزِ!
وَرَغِيفُ النَّدِّ الَّذي غَصَبُونِي ... ـهِ، وأَكْرِمْ بِذَاكَ مِنْ مَجْنُوزِ
غَلَبَتْنِي عَلَيْهِ أَيْدِي نِهَابٍ ... نَهزَتْهُ بحَظِّهَا المَنْهُوزِ
سَبَقَتْني إليه سَبْقَ ذئابٍ ... خاطِفَاتٍ بِهِزَّةٍ وأَزِيزِ
كان خَتْلاً منهم كَخَتْلِ الحَوارِيِّ ... سَيْفِ الله ذِي الرَّدىٰ جُرْمُوزِ
لو خَشِينَا الْبِدَارَ مِنهُمْ لَعِثْنا ... فيهِمُ كاللُّيُّوثِ فِي الأُمْعُوزِ
ثُمَّ آبوا بجانِبٍ طَيِّبِ النَّشْـ ... ـرِ، وَأُبْنا بِجانِبٍ مَخْبُوزِ
لَهْفَ نفسي عليه مُلْقىً كَتُرْسٍ ... وافرِ الحَرْف مُشْرفِ التَّفْرِيزِ
فَدُموعي من التَّأَسُّف تَجْري ... جَرْيَ وَفْرَاءَ وافياتِ الخُرُوزِ
جَمَزَتْنِي فَوايتُ الحظِّ منْهُ ... وابلاَئِي مِنْ حَظِّيَ الْمَجْمُوزِ!
قَدْ رَأَىٰ سَيِّدِي وُقُوفِيَ حَيْرا ... نَ كَمُصْمِي الرَّمْيَةِ الْمَتْرُوزِ
فابْقَ يَا سَيِّدي بَقاءَ ثَبِيرٍ ... غَيْرَ ما مَزْعَجٍ ولاَ مَحْقُوزِ
وتَمَلَّ السُّرُورَ سائِرَ مُلْكٍ ... غَيْرَ مُسْتَنْقَصٍ ولاَ مَبْزُوزِ
تَتَخطَّىٰ مداسَ كلِّ إمامٍ ... قاهرَ العِزِّ غَيْرَ مَا مَعزُوزِ

فلما أنشدتُه إياها استحسنها وقال: ما أعرف زائيةً مثلها، بل لا أعرف زائيةً إلا للشمّاخ، وتلك عجوزٌ وهذه شابةٌ! ثم عوّضني أحسنَ تعويضٍ بِصِلَةٍ ونَدٍّ وعَنبرٍ». كتاب الأوراق للصولي (ص/ ٣١ - ٣٨).

ـ وكتبَ أيضاً علىٰ قافية الشين:

غَشِيَتْنِي مِنَ الهُمُومِ غَواشِ ... لِعَذُولٍ يَلُومُ فِيكَ ووَاشِ
لَوْ يُلاَقُوا الَّذِي لَقِيتُ مِن الْوَجْـ ... ـدِ لِشَوْقٍ بَيْنَ الجَوانِحِ نَاشِ
نَمَّ بِالسِّرِّ عِنْدُهُمْ دَمْعُ عَيْنِي ... إِنَّ سِرَّ المُحِبِّ بِالْدَّمْعِ فَاشِي
مَنْ عَذِيرِي لظَالِمٍ أَنَا مِنْهُ ... فِي زَمَانِ الوصَالِ لِلْهَجْرِ خَاشِي
أَخَذَ الْقَدَّ مَنْ قَضِيبٍ رَطِيبٍ ... وحكىٰ أَعْيُنَ الظِّبَاءِ العِطَاشِ

فأنشدتُها الراضي في إمارته، فعَمِل في قافيتها ومعناها:

نَحُـــولُ الْجِسْـــمِ مِـــنْ وَاشِ ... وَدَمْعِـــي لِلهَـــوَىٰ فَاشِـــي
لأَنِّـــي فِـــي زَمَـــانِ الْوَصْـــ ... ـــلِ مِـنْ هَجْـرِكِ لِـي خَاشِـي
لإِصغَـــارِكَ لِلشَّكْـــوَىٰ ... وَإِصْغَـــائِكَ لِلْـــوَاشِي
فَأَوْحَشْـتَ بِإِدْنَـــاءٍ ... وَآنَسْـــتَ بِإِيحَـــاشِ
عَرانِـــي سَـــقَمٌ نَـــاشٍ ... بِهَجْـــرٍ مِنكُـــمُ نَاشِـــي

كتاب الأوراق للصولي (ص/ ٥٢).

ـ وعملتُ أيضًا:

حُـبٌّ لأَحْمَـدَ قَـدْ فَشَـا ... بَيْـــنَ الْجَوانِـحِ والْحَشَـا
يَهْتَـــزُّ فِـي حَـــرَكَاتِهِ ... مِثْـلَ الْقَضِيـبِ إِذَا مَشَـــىٰ
خَـدَّاهُ مِـنْ بَـرَدِ الـــدُّجَىٰ ... وَالْمُقْلَتَـانِ مِـنَ الـــرَّشَا
لَمَّـا ظَفِـرْتُ بِـــوَصْلِهِ ... وَمَلَكْـتُ مِنْـــهُ مَـــا أَشَـا
أَحْلَـىٰ الْبَـــرِّيةِ أَوْ عَلَـىٰ ... عَيْـنِ الَّـذي يَهْـوَىٰ غِشَـا
وتَنَاوَمَـتْ عَيْـنُ الرَّقِيـ ... ـــبِ لَحَـثِّ أَقْـدَاحِ الْوِشَـا
وفَشَـا الحَـدِيثُ بِحُـبِّنا ... والحُـــبُّ يَحْسُـنُ إِنْ فَشَـا!
عَبَـثَ الْوُشَـاةُ بِـــوَصْلِنَا ... حَسَـداً فقُبِّـحَ مَـنْ وَشَـا

فعمل هو:

أَقْـرَحَ القَلْـبَ والحَشَـا ... مُفْتِـنٌ لَحْظُـهُ رَشَـا
مَلَـكَ الجِسْـمَ حُبُّـهُ ... فَبِـراهُ كَمَـا يَشَـا!
لا يُجَـازَىٰ عَلَـىٰ الوِصَـا ... لِ وَلاَ يَقْبَـلُ الرِّشَـا
شِـئْتُ أَنْ يَرْحَمَ الْمُحِـ ... ـــبَّ وَهَيْهَـاتَ مَا أَشَـا
يَـا هِـلاَلاً إِذَا بَـدا ... وقَضِيبـًا إِذَا مَشَـىٰ
افْـشِ وَصْـلاً فَـإِنَّ هَجْـ ... ـــرَكَ - لاَ كانَ - قَـدْ فَشَـا!

كتاب الأوراق (ص/ ٥٣ - ٥٤).

وليعذرْنا القارئُ اللبيبُ علىٰ استرسالنا مع الصوليِّ هذا؛ فإننا إنما نُحمِضُ إحماضاً في هذا الكُرّاسِ!

- ومنهم: يحي بن يوسف الصرصري الحنبلي (ت ٦٥٦ هـ).

فقد ذكر له اليُونيني في ذيل مرآة الزمان (١/ ٢٦٦) فما بعد، مدائحَ نبويّةً كثيرةً، نظمها علىٰ القوافي الصعبة، منها قولُه يمدح النبيَّ صلىٰ الله عليه وسلم وآله وأصحابه وأزواجه:

أبي القاسم الهادي البشير محمد ... سليل الكرام الأطيبين الملاوث
أعزُّ الورىٰ بيتًا وأشرفُ عنصراً ... وأطهرُ عرضًا من عميرة ماعث
بنىٰ لبني سام مناراً سمَوْا به ... حمىٰ آل حام في الفخار ويافث
تسنَّم من غُرِّ المناقب ذِروةً ... أبىٰ شأوها أنّ يستكنّ لضابث
تخيّره الرحمنُ من آل هاشم ... صفيًا نبيًا وارثًا خير وارث
وأنزل أملاكَ السماء لنصره ... علىٰ كل خوّان السريرة ناكث
وآزره في كل هيجاء بسلةٍ ... بأصحابه الشُّوس الكُماة الممارث
بكل كريم الأصل شهم مهاجرٍ ... وأنصارِه الموفين عند النكائث
هم حفظوا ميثاقه في حياته ... وفي موته لم ينقضوا عهدَ والث
ولما أتىٰ الأحزابُ بدَّد شملَهم ... بريحٍ وجندٍ باهرٍ للولايث
ويوم حنينٍ حين جاءت هوازنٌ ... بكلِّ غَويٍّ ذي شذاة ملايث
فولّوْا علىٰ الأعقاب حين رماهم ... فأغشاهم من قبضةٍ من كثاكث

إلىٰ آخر ما قال.

- ومنهم: إبراهيم بن عبد الله بن إسماعيل الصَّنعاني (ت ١٢٢٣ هـ):

فقد نظم علىٰ القوافي الصعبة والعصيّة فأجاد، ومن شعره قولُه:

جاءتْ علىٰ غير وعدٍ بعدما انقطعتْ ... عنها الظنونُ وذابتْ دونها المهجُ
لكنْ رأتْ من رقيبٍ خَلَّةً فأتَتْ ... في روعةِ الظبيِ بالقنّاص ينزعجُ
فقد سرَتْ وكُماةُ الحيِّ دائرةٌ ... من حولِها وسيوفُ الهند تختلجُ

حتىٰ قضيتُ لُباناتٍ بها بَعُدَتْ عن التصوّرِ، لولا أنه الفرجُ!
ما كنت أحسَبُ دهري قطُّ يُسعدُني بها، ولا بسُموطٍ زانَها البَلَجُ

وقوله :

يَراعُ الهوىٰ في القلب للحبِّ قد خَطّا وأحكمَه شكْلاً وأوضحَه نَقْطا
وحرَّرَ في مرسومه العهدَ، إنني أدومُ علىٰ حكْمِ التّصابي وإن شطّا
ولازم بين الجفنِ والسُّهد في الدُّجىٰ ولم يلتزمْ لي للكَرىٰ في النَّوىٰ شَرْطا
لحا الله قلبًا تاه في لجَّةِ الصِّبا وقد كان في بحر الغرام علا الشَّطّا
فسمَّىٰ الذي قد أخلصَ النُّصحَ عاذلاً وظنَّ الذي أبدىٰ الصوابَ له أخطا
وعهدي به لا يجهلُ القولَ إنما لعلَّ الهوىٰ العُذرِيْ علىٰ سمعِه غطَّىٰ!

انظر البدر الطالع للشوكاني (١/ ١٩) ، ونيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر لزبارة الصنعاني (١/ ٢١).

- ومنهم: أبو العباس أحمد بن محمد الأصرم القيرواني (ت ١٢٧٥ هـ) :

ومن عويص شعره قوله في الغزل :

بشتُ لها شوقي ولم ينفعِ البَثُّ ففارقني صبرٌ ولازمني بَثُّ
نأيتُ عليها دِرَّةً ولَطالما لبثتُ مُعاطِيها وما ملّني اللَّبْثُ
وكم بتُّ ما بين السواعد ثاويًا ويسترنا من شعرها فاحمٌ كَثُّ
وكم ذا خلونا في الرِّياض وبيننا حديثٌ لنا في شُرب راوُوقِه حَثُّ
كأنّ شرابي إذ يُشَعشِعُهُ الهوىٰ حديثُ (عليٍّ) إذ يصحِّحه (اللّيثُ)!
فإنْ شئتَ قُل: شمسٌ، ولكنْ هنا الذُّكَا وإنْ شئتَ قُل: بحرٌ، ولكنّهُ يحثو!

- ومنهم: محمد بن محمود بن محمد بن أحمد بن خيار بن القاضي العلوي، الملقب أبّدّ (ت ١٢٥٥ هـ) :

قال عنه العلّامةُ أحمدُ بنُ الأمين الشنقيطي في كتابه العُجَاب «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط» (ص/ ٤٢) : « شاعرٌ مُجيدٌ، شديدُ متونِ القوافي، كأنما ينحت من صخرٍ، مع قلّة غَلَط، وأمْنٍ من السَّقَط، كان متضلِّعًا من العربية، قليلَ الطيْش!».=

=ومن شعره قولُه من قصيدةٍ يردُّ بها علىٰ قصيدة الأحول التي مطلعها:

أَلا بلّغا بابَ جاني الحروب وجاني الحروب رهينُ الخَطا

وقصيدته هي هذه:

ألا بلّغَنْ بابَ عنّا سلامًا يناسب منصبَه الأوسطَا
بأنّا بتيجِجْكَ في ذُروةٍ من المجد والعزّ لم تُمْتَطَا
وأهلُ الجبال يحوطونَنا جميعًا وكنّا لهم أحوطَا
يُجلّون ذا الحِلم منسا الجليل ويخشون ذا الجهل أن يفرطا
وكنا قديمًا سُراة الأديم نجود، ويعطوا لنا من عطا
نُؤَمِّن من سالمَ المسلمين ونجفوا ونسطوا علىٰ من سطا
ونحن الكُماةُ ونحن القُضاةُ والعالمون بما اسْتُنْبِطا
متىٰ تتشعبْ دعاوىٰ الخصوم يكن حكمُنا الفاصلَ المسمَطا
وأنّا أغرْنا علىٰ معشرٍ لدىٰ تَغْرَرَيتَ وإيشَنْكَطا
وأخرىٰ أغرنا علىٰ آخرين بتندَيْجمار وآغَوْرَطا
حملْنا الخِيامَ وأنْضادَها وسِرْنا جميعًا ثِقالاً بِطا
نَجُرُّ العِجافَ رويداً؛ لئلّا تخُبَّ فتُبهَرَ أو تَثْلُطا
فجاءَتْ عُمَيْرٌ وما جَمّعتْ وجاءَ حُمَيْدٌ وما جَمَّطا
وفرَّط في الحزم إذْ جاءَنا ولو يعلمُ الغيبَ ما فرّطا!
وقد أقسموا جَهْدَ أيمانهم يردُّون حِلْفة من أسْخَطا
وقد يقلبُ الله قلبَ العَزُوم وقد يحنث الحالف المُحْلِطا
وبالبئر صبَّحهم بُكرةً كما نبَّه الوَرْدُ سِربَ القَطا
عَذابَ رجالٍ يَحُسُّونَهم رأوا ذلك الأمثلَ الأقسطا

إلىٰ آخر ما قال من هذا الشعر الجلْمَد، الذي يصكُّ الآذانَ صَكًّا ! ويحكُّ الأسماعَ حكًّا !.

ولا أظنُّه يغيبُ عن بالك هنا حيرانُ المعرّة = أبو العَلاءِ ؛ فإنه قد برهن في لزوميّاته علىٰ أنه إمامُ هذه الصنعة !

لطيفةٌ: قال عبدُ الله بنُ الحسن: جاءني أبو العتاهية وأنا في الديوان، فجلس إليّ،=

- ٥ -

وبعدُ: فهذه زَفْرَةُ مَوْتُورٍ، شَعَر بما شَعَرَ به فشَعَر، فلربّما حرّك الشِّعْرُ أحداً، فصنع شيئاً يَدْرأُ به ولا يُدارِي، بعد أن كثرتْ ألاعيبُ السَّحَرَة، وغابتْ عَصَا الكليم!! وإلى اللهِ المُشْتكَى لا مِنْه.

وكتب: أحمدُ بنُ عليٍّ القَرْنيُّ المَدِينيُّ [1] كان اللهُ له ـ طابة ١٤٣٨ هـ

= فقلت له: يا أبا إسحاق، أما يصعب عليك شيءٌ من الألفاظ تحتاجُ فيه إلىٰ الغريب كما يحتاج إليه سائر الناس ممّن يقول الشّعر؟ فقال: لا، فقلتُ: إني لأحسب ذلك من كثرة ركوبك القوافي السهلة، قال: فاعرضْ عليّ ما شئت من القوافي الصعبة، فقلتُ: قلْ أبياتاً في مثل البلاغ، فقال من ساعته:

أيُّ عيشٍ يكون أفضلَ من عيـ ـشٍ كفافٍ قُوتٍ بقدر البلاغِ
صاحبُ البَغْي ليس يسلَمُ منه وعلىٰ نَفْسه بَغَىٰ كلُّ باغِي
رُبّ ذي لقمة تعرّض منها حائلٌ بينها وبين المساغِ
أبلغ الدهرُ في مواعظه بـ ـل زاد فيهنّ لي علىٰ الإبلاغِ
غَشَمَتْني الأيامُ عقلي ومالي وشبابي وصحّتي وفراغي!

انظر الأغاني للأصبهاني (٤/ ٤٤)، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون البغدادي (٩/ ٢٣١).

(١) **المَدِينيُّ:** نسبةٌ صحيحةٌ للمدينة النبويّة علىٰ صاحبها أفضلُ الصلاة والسلام. خلافاً لما زعمهُ صاحبُ «لحن القول» مِن أنها نِسْبة إلىٰ مدينة المنصور ونحوها من المُدن المضافة، فحَسْب!

ولعلّه اعتمد في ذلك على كلام صاحب «القاموس المحيط»، ولم يرجع للمصادر المتخصِّصة في الأنساب!!

والصحيحُ أنه يُنسبُ للمدينة النبوية أيضاً، فيقال: المَدِيني.

قال ابنُ القيسراني: المنسوبُ إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له: المَدِيني والمَدَني، وفيهم كثرةٌ. ثم ذكر بعضَهم. انظر الأنساب المتّفقة (ص/ ١٣٧).

وقال السمعانيُّ: «المَدِيني: بفتح الميم والدال المهملة المكسورة بعدها الياء آخر =

=الحروف وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى عدةٍ من المدن، منها مدينةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكثرُ ما يُنسب إليها يقال: «المدني»، وإلى مدينة السلام بغداد، وإلى مدينة أصبهان، وإلى مدينة نيسابور، وإلى المدينة الداخلة بمرو، وإلى مدينة بخارا، وإلى مدينة سمرقند، وإلى مدينة نسف، وغيرها من المدن. فأمّا النسبةُ إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكثرُ من أن تُحصى». الأنساب (١٢/ ١٥٢).

وبنحوه قال ابنُ الأثير في اللباب في تهذيب الأنساب (٣/ ١٨٤) والسيوطيُّ في لُب اللباب في تحرير الأنساب (ص/ ٢٣٩).

وقال النوويُّ: «أمّا المَدِينيُّ والمدنيُّ فنسبةٌ إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، والقياسُ المدنيُّ بحذف الياء، ومَن أثبتها فهو على الأصل». المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١/ ١٠٨).

وقال ابنُ ناصر الدين: «المَدِيني: بفتح أوله، وكسر الدال المهملة، تليها مثناة تحت ساكنة، ثم نون مكسورة، نسبةٌ إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، وأكثرُ ما يُنسب إليها مدنيّ». توضيح المشتبه (٨/ ١٠٠).

- ثمّ اختلفوا بعد ذلك في التفريق بينهما مِن حيثُ المرادُ:

١- فروى السمعانيُّ بسنده عن محمد بن سليمان بن فارس، قال: سمعتُ محمد بن إسماعيل البخاري يقول: «المَدِينيُّ» هو الّذي أقام بالمدينة ولم يفارقْها، و«المدنيُّ» الّذي تحوَّل عنها وكان منها. الأنساب (١٢/ ١٥٣).

٢- وقال ابنُ الأبّار: «قال شيخُنا أبو الخطاب القاضي: نقلتُ من خطّ أبي مروان بن الصيقل رحمه الله، قال لي أبو علي شيخي، قال لي أبو الوليد الباجي شيخي: كلُّ مَن مات بالمدينة من أهلها قيل فيه في النَّسب: مدنيّ. وكلُّ من كان من أهل المدينة فمات بغيرها قيل فيه: مَدينيّ ! كتب هذا الكلام أبو عبد الله بن أبي البقا النحوي من شيوخنا، وقال في آخره: وأظنُّه اصطلاحاً منهم». المعجم في أصحاب القاضي الصدفي (ص/ ٢٥٠).

٣- وقال ابنُ ناصر الدين: «فرّق بعضُهم بينهما، فمن كان من أهلها، يقال له: مدني، ولمن نزلها مَديني». توضيح المشتبه (٨/ ١٠٠). والله أعلم.

قَصِيدَةُ
الرَّقْصِ والوَقْصِ

فَـــاتِحةٌ

في زمـان الـمُضحكاتِ..

الـمُبكـياتِ!

أصبح (المتـنُ) جُنيهـًا..

و(الشروحاتُ) فِرَنْكـًا..

و(الحواشي) مَارْكَاتْ!

أصبح الدولارُ معبوداً..

كما كانت مَنَـاةْ!!

أصبح (الموروثُ) نَهبـًا ..

للشياطين الغُزاةْ!

و(حقوقُ الطبع) صارتْ..

مثلَ باقي اللَّافتاتْ!

أحْرُفٌ أضحتْ مجازاً..

ليـس فيهنَّ حياةْ!

لم يَعُدْ للعلم طَعْمٌ..

لـم يَعُدْ للعلم ذاتْ!

ليس للعلم رُعاةٌ..

ليس للعلم حُماةْ!

عندها جيّشتُ شعري..

وانتضيتُ المفـرداتْ.

في جهاد العـابثينَ..

من لُصُوصِ الطَّبَعاتِ..

ولُصوصِ المكْتَبَاتْ!

-١-

الضَّادُ الضَّارِبَة

عَبَــثُ (الناشــرينَ) جُــرمٌ بغيــضُ
في زمــانٍ قــد ســاد فيــه الحَرِيْــضُ![1]

في زمــانٍ تُبتــاعُ فيــه (الأســامي)!
وعلــىٰ بيعهــا تُنــال (القُــروضُ)![2]

قَوَّمــوا العِلْــمَ بـ(الشــهادات) ! ظنّــوا
أن نشــرَ (التــراث) ســهلٌ غَرِيْــضُ![3]

طَبَعُــوا (الكُتْــبَ) دون فهــمٍ وضبــطٍ
وعلــىٰ رَسْــمِها يَلــوح الغُمــوضُ!

يشــتكي (الفقــهُ) بأسَــهم و(القــراءا
تُ) ويشكو (الحَديثُ) بَلْهَ (العَروضُ)!

---

(١) الحَرِيــضُ : هــو الهالــكُ، قالــه ابــنُ الأعرابــيّ. وقيــل: هــو الســاقطُ الــذي لا خيــرَ فيــه. يُنظــر العشــراتُ في غريــب اللغــة لغــلام ثعلــب (ص/ ٦٨)، والمحكــم والمحيــط الأعظــم لابــن سيــده (٣/ ١٢٤) .

(٢) تســتغلّ بعــضُ دور النشــر أصحــابَ الأســماءِ العلميّــةِ اللّامعــةِ؛ لتضــع أســماءَهم – شــكليًا – علــىٰ إصــدارات الــدار! ســواءً في التحقيــق أو الإشــراف أو المراجعــة ! دون مشــاركةٍ منهــم في ذلــك كلــه؛ نظيــر حَفْنــةٍ مــن المــال !!

(٣) الغَريــض : هــو الطــريُّ مــن كلِّ شــيءٍ . يُنظــر جمهــرة اللغــة لابــن دريــد (٢/ ٧٤٩)، والصحــاح للجوهــري (٣/ ١٠٩٤) .

يَســـرِقُون (الحُقــوقَ) دون حَيــاءِ!
إنَّ طَبــعَ اللئيــم طَبْــعٌ مَريــضُ
وإذا طالَــبَ (المحقِّــقُ) يومــًا
يُــزدرَىٰ قولُــه ، وتُلغــىٰ (العُــروضُ)!
أيــنَ مَــنْ يَــردعُ الجُنــاةَ بحَــزمٍ؟
بعدمــا لَــجّ مُسْــتهينٌ بغيــضُ
أيــنَ مَــنْ يَحتــوي (الحُــواةَ) بعَــزمٍ؟
بعــد مــا عــاث في (التُّــراث) مَهِيــضُ
أيهـــا العابثـــون كُفّـــوا وإلا
ســوف يُبــدي مــا تصنعــون القريــضُ!

-٢-

الذَّالُ الـمُـذِلَّة

أيـنَ حِفـظُ الحُقـوقِ ؟ أيـنَ المـلاذُ ؟

بيـن (دُورٍ) قـد عـمَّ فيهـا الجُـذاذُ [١]

بـات يرعـىٰ (التحقيـقَ) فيهـا جَهـولٌ

أو بليـدٌ ، أو سـائلٌ شـحّاذُ! [٢]

أصبـحَ العَالِـمُ المحقِّـقُ غِـرّاً

ليـس يـدري، وجُهِّـلَ الأُسـتاذُ!

ضجّـتِ الأرضُ مـن (بَطَلْيَـوسَ) حتىٰ

(جُوزَجـانٍ)، وخاصمـتْ (بغـدادُ)[٣]

---

(١) الجُـذاذ : مـا جُـذّ مـن الشـيء: أي قُطـع. ومَـا جُـذَّ مـن الْحِجَـارَة، أَي كُسِـر فَصَـار رُفَاتـًا. انظـر تهذيـب اللغـة للأزهـري (٤/ ١٨٥) ، وشـمس العلوم لنشـوان الحميـري (٢/ ٩٤٣).

(٢) الشَّـحّاذُ : قـال في القامـوس المحيـط (ص/ ٣٣٤) : الشَّـحْذُ : الإلحـاحُ في السـؤالِ، وهـو شـحَّاذٌ مُلِـحٌّ، ولا تَقُـلْ: شـحَّاثٌ.

وقـال الصفـدي : «يقولـون: شـحّاث، بالثـاء المعجمـة بثـلاث. والصـواب شـحّاذ بالذال المعجمـة، مـن قولـك: شَـحذتُ السـيفَ، إذا بالغـت في إحـداده، فـكأنّ الشَّـحَّاذَ مُبالِـغٌ في طلـب الصدقـة». تصحيـح التصحيـف وتحريـر التحريـف (ص/ ٣٣٢).

(٣) بَطليوْس : مدينةٌ من بلاد الأندلس غربيّ قُرطبة .

وجُوزَجـان : اسـم كُـورةٍ واسـعةٍ مـن كُـوَرِ بلـخٍ بخراسـان، الأولـىٰ في أقصـىٰ المغـرب، والثانيـة بأقصـىٰ المشـرق . =

(وبديعُ الزمان) يا قومُ أضحىٰ

يتغنّىٰ: ما عاد يُغني (الأزاذُ)[1]

طبعوا كُتْبه فجاءتْ خَليطًا

شوّهتها أغلاطُهم والشواذُ!

= وبغداذُ: في رسمها سبعُ لغات، إحداها بالذال المعجمة (بغداذ)، وإنْ نازَع في ذلك أهلُ البصرة! وقد مشىٰ علىٰ هذا اللفظ القفطيُّ في «الإنباه»، لا يتعدّاه، ولا يستعمل سواه.

وكذا الصفديُّ في كتابه «نَكْت الهِيمان» كما في بعض نُسَخه، وهي النسخة الموجودة في المكتبة العمومية باستانبول .

وجاء في تاريخ بغداد تحقيق د. بشار عوّاد (١/ ٣٦٤) عن ابن الكلبي، قال: إنما سُمّيت بغداد بالفَرَس؛ لأنه أُهدي لكسرىٰ خَصيٌّ من المشرق، فأقطعه بغداد، وكان لهم صنمٌ يعبدونه بالمشرق، يقال له: البَغْ، فقال: بَغْ دَادْ. يقول: أعطاني الصنم.

والفقهاءُ يكرهون هذا الاسم من أجل هذا، وسماها أَبُو جعفر مدينةَ السلام؛ لأن دجلة كان يقال لها: وادي السلام.

وكان عبد الله بن المبارك، يقول: لا يقال: بغداذ بالذال؛ فإنّ بَغْ شيطان، ودَاذْ عطيّته، وإنها شركٌ، ولكنْ تقول: بغداد، وبغدان، كما تقول العرب.

وعن عبد الله بن مسلم بن قتيبة، قال: كان الأصمعيُّ لا يقول: بغداد، وينهىٰ عن ذاك، ويقول: مدينة السلام؛ لأنه سمع في الحديث أنّ بَغْ صنمٌ، ودَادْ عطيّته بالفارسية، كأنها عطيّةُ الصنم.

ويقال لها أيضًا : بغدان ، ومغدان.

(١) الأزاذ : نوعٌ من التمر.

والبيتُ فيه إشارةٌ للمقامة البغدادية لبديع الزمان الهمذاني، التي استهلّها بقوله : «اشتهيتُ الأزاذ، وأنا ببغداذ» ينظر (المقامات الهمذانية ص/ ٧٠) .

ليــتَ شِــعْري أيَّ المواثيــق يرعــىٰ
(ناشــرٌ) رقّ دينُــه طِرْمــاذُ[١]

عنــد (حفــظِ الحقــوقِ) لِــصٌ لئيــمٌ
ولــدىٰ (الطَّبْــع) ناشــلٌ وَذْواذُ[٢]

بــادروا الآنَ باتّخــاذِ قــرارٍ
فَلَكَــمْ أقلــقَ (اللصــوصَ) اتّخــاذُ

ولقــد قيــل في الوصايــا قديمــًا :
«لا يَفُــلّ الفُــولاذَ إلا الفُــولاذُ» ![٣]

(١) الطِّرْمَاذ : هو الصَّلِفُ المفَاخِرُ النفّاجُ، المتشبّعُ بما ليس عنده. انظر لسان العرب (٣/ ٤٩٨)، والقاموس المحيط (ص/ ٣٣٥)

(٢) الوَذْوَاذ : الوَذْوَذَةُ السُّرْعَةُ، ورَجُلٌ وَذْواذٌ : سَرِيعُ المَشْيِ. انظر جمهرة اللغة (١/ ١٩٥)، والمحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ٩٣).

(٣) يُشبَعُ المدُّ في كلمة « الفولاذ» الأولىٰ، ويُختلس من الثانية .
وأصلُ المثل : «لا يَفُلُّ الحديدَ إلا الحديدُ»، يُضرب في الشَّيءِ لا يؤثّر فيه إلا ما كان من جِنسه.
لطيفةٌ: لما خرج الوليد بن طريف الشيباني الشَّاري علىٰ الرشيد، اشتدتْ شوكتُه،فبعث إليه الرشيدُ يزيدَ بن مزيد الشيباني فقتله، فقال الشاعر، وهو بكر بن النطاح:

وائلٌ بعضُها يقتِّل بعضًا لا يفلُّ الحديدَ إلا الحديدُ
لو تلقّىٰ الوليدَ غيرُ يزيدٍ لغــــدا ظاهراً عليه الوليدُ

انظر مجمع الأمثال للميداني (٢/ ٢٣٠)، وفصل المقال في شرح كتاب الأمثال للبكري (ص/ ١٣٤)، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (٢٢/ ١٣٠).

- ٣ -

الشِّينُ الشَّائِنَة !

عَبَـثُ (الناشـرين) في الكُتْـبِ فاشِـي
فلقـد جلَّلـو السَّـنا بالغَواشِـي!
نَخَـروا في (المتـون) حتـىٰ تَهَـاوَتْ
فبكَتْهـا (الشـروحُ) بعـدَ (الحواشـي)
(دورُ نشـرٍ) تُرشَـىٰ؛ لتخريـبِ علـمٍ
قبَّـح اللهُ في الـورىٰ كلَّ راشـي !
جمعـوا تحـتَ سـقفِها كلَّ غِـرٍّ[1]
جاهـلٍ بالفُنـونِ، فَـدْمٍ، طَوَاشِـي[2]

---

(١) بلغني عن بعض دور النشر أنها تستأجرُ بعضَ طلّاب المرحلة المتوسّطة والثانويّة لنسخ وتحقيق المخطوطات! ثمّ تَطبع الكتاب، وتَكتبُ علىٰ غلافه عبارةَ: حقّقهُ جماعةٌ من العلماءِ بإشراف الناشر!!!

(٢) الطَّوَاشِي: مأخوذٌ من الطَّوَش، وهو خِفَّةُ العقل - كما قال ابنُ الأعرابي -، ومنه قولُ بعضهم:

له علىٰ حاجبِـــه شامةٌ تنزّهتْ في الحُسن عن عائبِ
مثلَ طَواشيْ زاد في حُمقِه يعلو علىٰ الناظرِ والحاجبِ!

والطَّوَاشِيُّ هو: الخَصِيُّ! وهو مولَّدٌ لم يوجدْ في كلام العرب. وقال المقريزيُّ: إنها كلمةٌ تُركيّةٌ.

والطَّوَاشِيَةُ: المماليكُ الخِصْيانُ المعيَّنون لخدمة بيوت السلطان وحريمه. =

يتبــارونَ في ابْتــزَازِ البَرايَــا
كَصَنيــعِ الــكِلابِ حيــنَ الهِــرَاشِ !
بُؤْتُــمُ بالخَسَــارِ، عمّــا قريــبٍ
ســوف تَقضُــون مثــلَ سِــربِ فَــراشِ !
وسَــتذْوي جُهودُكُــمْ وتَهــاوَىٰ
كمريــضٍ في (غُرفــةِ الإنعــاش)![1]
وســأروي هِجاءَكُــمْ في: قَصِيْــدِيْ
وكِتَابــي، ودَفتــري، وكُنَاشِــي![2]

=يُنظر تزيين الأسواق في أخبار العشاق للأنطاكي (٢/ ٢١٩)، وتاج العروس للزبيدي (١٧/ ٢٤٨)، وتكملة المعاجم العربية لدُوزي (٧/ ٩٠)،ومعجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي لمحمد دهمان (ص/ ١٠٩).

لطيفةٌ: ذكر النُّويريُّ أنّ أحدَ سلاطين المماليك، كتب إلىٰ نائبه بقلعة الجبل: الطواشي شجاع الدين عنبر المعروف بصدر الباز، قبل وصوله إلىٰ الديار المصرية، أن يتقدّم بنصْب مائة خشبةٍ بالميدان الأسود للشَّنْق، فنُصبتْ، وما عَلِم لمن هي؟ فكان الطواشيُّ إذا توجّه إلىٰ الميدان يمرُّ علىٰ الخشب، فينظرُ الىٰ خشبةٍ منها، ويقول: أجِدُ قلبي يحِنُّ الىٰ هذه الخشبة! وتكرّر ذلك منه، فشُنِق عليها!! وهذا من عجيب الاتفاق في إحساس الخواطر. نهاية الأرب في فنون الأدب (٣٠/ ٢٢١) بتصرف.

(١) غُرْفة الإنعاش: مكانٌ مخصَّصٌ في المستشفيات، ومجهَّزٌ للعناية بالمرضىٰ عقب الجراحة مباشرةً. معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر (٢/ ١٦١٠).

(٢) الكُنَاشُ والكُنَاشَةُ: أوراقٌ تُجعل كالدفتر، يُقيَّد فيها الفوائدُ والشواردُ للضبط، هكذا يستعمله المغاربة. تاج العروس للزبيدي (١٧/ ٣٦٩)، والمعجم الوسيط (٢/ ٨٠٠).

فلْتُفيقــوا مــن سَــكْرةٍ، وَيــحَ قَوْمِــي

قَبــلَ أنْ تســحقَ الظِّبــاءُ خَــراشِ![1]

واهْجُــروا هــذهِ (المتَاجِــرَ) طُــرّاً

وأَحِيلُــوا طَبْعَاتِهــا (للمَعَــاشِ)![2]

---

(١) في هذا إشارةٌ إلىٰ البيت المشهور الذي صار مثلاً يُضربُ:

تكاثرتْ الظِّباءُ علىٰ خَراشٍ فما يدري خَراشٌ ما يصيد!

قال ابنُ القيّم: يُحكىٰ أن بعض العرب: أرسل صائداً له علىٰ صيدٍ. فخرج الصيدُ عليه من أمامه وخلفه، وعن يمينه وعن شماله، فوقف باهتاً ينظر يميناً وشمالاً، ولم يصطد شيئاً!! فقال:

تكاثرتْ الظِّباءُ علىٰ خَراشٍ فما يدري خَراشٌ ما يصيد!

مدارج السالكين (٢/ ٣٨٨).

وقال الخوارزمي: خَراشٌ هذا صاحب الخراشيّة من مرو، وكان من دعاة بني العبّاس، ثمّ خلّط عليهم، وقتله أسد بن عبد الله القسريّ بعد قطع يديه ورجليه! الأمثال المولَّدة (ص/ ٣٣١).

وانظر التمثيل والمحاضرة للثعالبي (ص/ ٣٦١)، والمثل السائر لابن الأثير (١/ ١١٧).

(٢) المعاشُ: هو الرزقُ. ومنه قولُ المتنبي:

فسِرتُ إليك في طلب المعالي وسار سوايَ في طلب المعاشِ

وفي عُرْفِنا الحاضر هو المالُ الذي يتقاضاه الموظَّف بعدَ التقاعد من الوظيفة. انظر المعجم الوسيط (٢/ ٦٤٠). ومعجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر (١/ ٥٨٦)، ومعجم لغة الفقهاء لقلعجي وقنيبي(ص/ ٤٣٧).

وهو مرادي هنا.

- ٤ -

الطَّاءُ الطَّامّة!

عَبَثُ (المكْتباتِ) يا قومُ شَطَّا[1]
فاكشِفوا وَجْهَهَا القَبيحَ المُغَطَّىٰ

تَشْتكيْ بأسَهُم دَواوينُ عِلْمٍ
أثْخَنُوهَا خَبْطًا، وخَلْطًا، وسَقْطَا!

يشتكيْ بغيَهُم (صحيحُ البخاريْ)
و(المسانيدُ) كلُّها، و(المُوَطَّا)!

عَبَثًا تصنعُونَ! ما ذا؟ أَفِيقُوا
أوَ مَا زِلتُمُ تَغُطُّونَ غَطَّا؟!

كيفَ يُرجَىٰ من فاقدِ العلم علمٌ
وهْوَ يَمضيْ في ساحة العلم خَبْطَا؟!

---

(١) مأخوذٌ من الشَّطَط: وهو مُجَاوزَة الحدّ فِي الجَور. ومنه قولُهم: شَطَّ فلانٌ فِي حُكمه إذا جارَ.
وقال اللَّيْثُ: الشَّطَطُ مُجَاوَزَةُ القَدْرِ فِي كلّ شَيْء. انظر تهذيب اللغة للأزهري (١١/ ١٨٠)، وجمهرة اللغة لابن دُريد (٢/ ١٠٠٩).

كيـفَ يَسْـعىٰ في نشـرِ عِلـمٍ جهـولٌ
كلّمـا رامَ أنْ يُصـوِّبَ أخْطَـا؟!
مِثـلُ هـذا فلـنْ نُسَـمِّيهِ: شَـيْخًا
هـو أحْرىٰ بـأن نُسـمِّيهِ: (أُسْـطَىٰ)!![1]
لا يُجيـدُ (التَّحْقِيـقَ) إلّا لبيـبٌ
ضَبَطَ العِلمَ و(المناهَجَ)[2] ضَبْطَا
وَحَـوَىٰ عِلـمَ آلَـةٍ مَنَحَتْـهُ
فَهْـمَ نَـصٍّ: معنـىً، ولفظـًا، وخَطَّـا
وثَنَـىٰ رُكبتيْـهِ عنـدَ إمـــــــامٍ
في مجـالِ (التحقيـقِ)، حتـىٰ تَخَطَّـىٰ

(١) الأُسْـطَىٰ: كلمـةٌ عاميّـةٌ مِصريـةٌ، ولعلّهـا تحريـفٌ واختـزالٌ لكلمـة (أُسـتاذ)! ومعناهـا: صاحـبُ الحِرْفَـة والصنعـة الماهـرُ بهـا. وتُطلـقُ أيضـًا علـىٰ سـائق سـيّارة الأُجـرة، وعلـىٰ المشـتغل بإصلاحهـا، وهـو مـرادي هنـا. وانظـر تكملـة المعاجـم العربيـة لدوزي (١/ ١٢٩)، ومجلـة الرسـالة (عـدد ٥٤ ص ٣٥٧).

(٢) مناهـجُ تحقيـق المخطوطـات؛ علـمٌ شـريفٌ؛ يُـدرَّسُ في أقسـام الدراسـات العليـا في الجامعـات وفي مراكـز البحـث المشـهورة. فأنّـىٰ لهـؤلاء الناشـرين أن يُدركـوا ذلـك؟! حيـثُ يظـنُّ هـؤلاء الناشـرون أنـه مجـرَّدُ اجتهـاداتٍ وتخرُّصـاتٍ مـن الباحثيـن!! فعلينـا أن نتنبّـه لهـذا الأمـر، وننبِّـه طلّابَنـا عليـه.

-٥-

الثَّاءُ الثَّالِـمَة!

أيهـا (الناشـرون) مـا ذا اللُّهـاثُ ؟
خَنَـعَ النَّشْـرُ فاسْـتطالَ البُغَـاثُ![1]

هـل يُوشّـىٰ في عالـم (النَّشْـر) فَـدْمٌ
غيـرُ ثَبْـتٍ ، أو عالـمٌ بحّـاثُ؟!

غُصَـصٌ تمـلأ الطُّـروسَ، ولغـوٌ
نَفَـخَ الكُتْـبَ، فالغيـاثُ الغيـاثُ!

(ناشـرٌ) فاشـلٌ بنـىٰ (دارَ نَشْـلٍ)
ينهـب النـاسَ، دأبُـهُ الإجْتثـاثُ!

حَسِـبَ العلـمَ قطعـةً مـن (أثـاثٍ)
فهـل العلـمُ - يـا جهـولُ - (أثـاثُ)؟!

صـارتْ (الكُتْـبُ) مَرْتَعـًا لِلُصُـوصٍ
قـد تبـارىٰ ذكورُهـا والإنـاثُ!

---

(١) قال أبو عبيد: بُغاثُ الطَّير: ضِعافُها. وقال الأصمعي: لِئامُها، وقيل: شِرارُها.
ويُقـالُ في المثَـل: «إنَّ البُغـاثَ بأرْضِنـا يَسْتَنْسِـرُ»، أي: يَصيـرُ نَسْـراً ! انظـر المجمـوع المغيـث في غريبـي القـرآن والحديـث لأبـي موسـىٰ المدينـي (١/ ١٧٧) ، ومعجـم ديـوان الأدب للفارابـي (٢/ ٤٣١).

فاستغاثتْ (خزائنُ الكُتْب) تشكو

فمتىٰ معشرَ الحُماة تُغاثُ ؟!

قاطعوا هذه (المتاجرَ) تَذْوِيْ

واتركوا دعْمها؛ لِيَحْيا (التُّراثُ)

ولْتَحُثُّوا أقلامَكُم يَا لَقومِيْ

فلقدْ يَحفظُ (الحقوقَ) التّحَاثُ!

قد عزمتُ الطلاقَ منها ثلاثًا

ربّما تردعُ الجُناةَ الثلاثُ !!

فهرس الفوائد واللطائف

الموضوع	الصفحة
معنى المثل القائل : (حديثٌ لو نقرتَه لطنَّ)	٥
المراد بقولهم : تكبيرةٌ من حارسٍ!	٦
أبياتٌ بديعةٌ لابن جرير الطبري في مدح الحياء والرِّفق	٦
قفْ على مثالٍ غريبٍ في التصحيف!	٦
المراد بقولهم : (عَمْرَكَ اللهُ)	٧
مثالٌ على التورية المجرّدة من شعر عمر بن أبي ربيعة	٧
معنى كلمة (نَشْل) و(نَشَّال) وأصلُهما	٨
أشعارٌ وأمثالٌ للجَهَلَة في ذمّ العلم ومدْح الجهل !!	٨
لطائفُ عن ابن أبي البَغْل !	٨
فائدةٌ عن كلمة (البنكنوت) وأولُ من استعملها	٩
تحديدُ مقدار (الكُرّ) بالموازين العَصْريّة	١٣
قِفْ على معنى (الرَّهْص والوَهْص)	١٣

الموضوع الصفحة

ذِكْرُ نماذجَ عدّةٍ لمن تعرّض للهجاء طلبًا للشهرة !! ١٤

ذِكْرُ بعضِ الشعراء الذين كانوا يتطلّبون القوافيَ الصعبةَ؛ وَلَعاً بالإغراب، وإبرازاً للمَلَكَة، وسَوْقُ نُبَذٍ من أشعارهم ١٧

سرعة بديهة أبي العتاهية وقوّة شاعريّته ٢٩

التحقيقُ في جواز نسبة المَدِينيّ لمن سكن المدينة النبويّة ٣٠

استغلال بعض دور النشر أصحابَ الأسماء العلمية اللامعة؛ لترويج بضاعتهم البائرة! ٣٥

تصحيحُ تحريفٍ قديمٍ في كلمة (شحّاذ) ٣٧

فوائدُ عدّةٌ عن اسم (بغداد) ٣٨

لطيفةٌ عن المثل المشهور : (لا يَفلُّ الحديدَ إلا الحديدُ) ٣٩

قصة خراشِ صائدِ الضِّباءِ ! ٤٢

معنى كلمة (المعاش) قديماً وحديثاً ٤٢

معنى كلمة (الأُسطى) في العاميّة المِصْريّة ! ٤٤

أهميّةُ علم «مناهج تحقيق المخطوطات» ٤٤